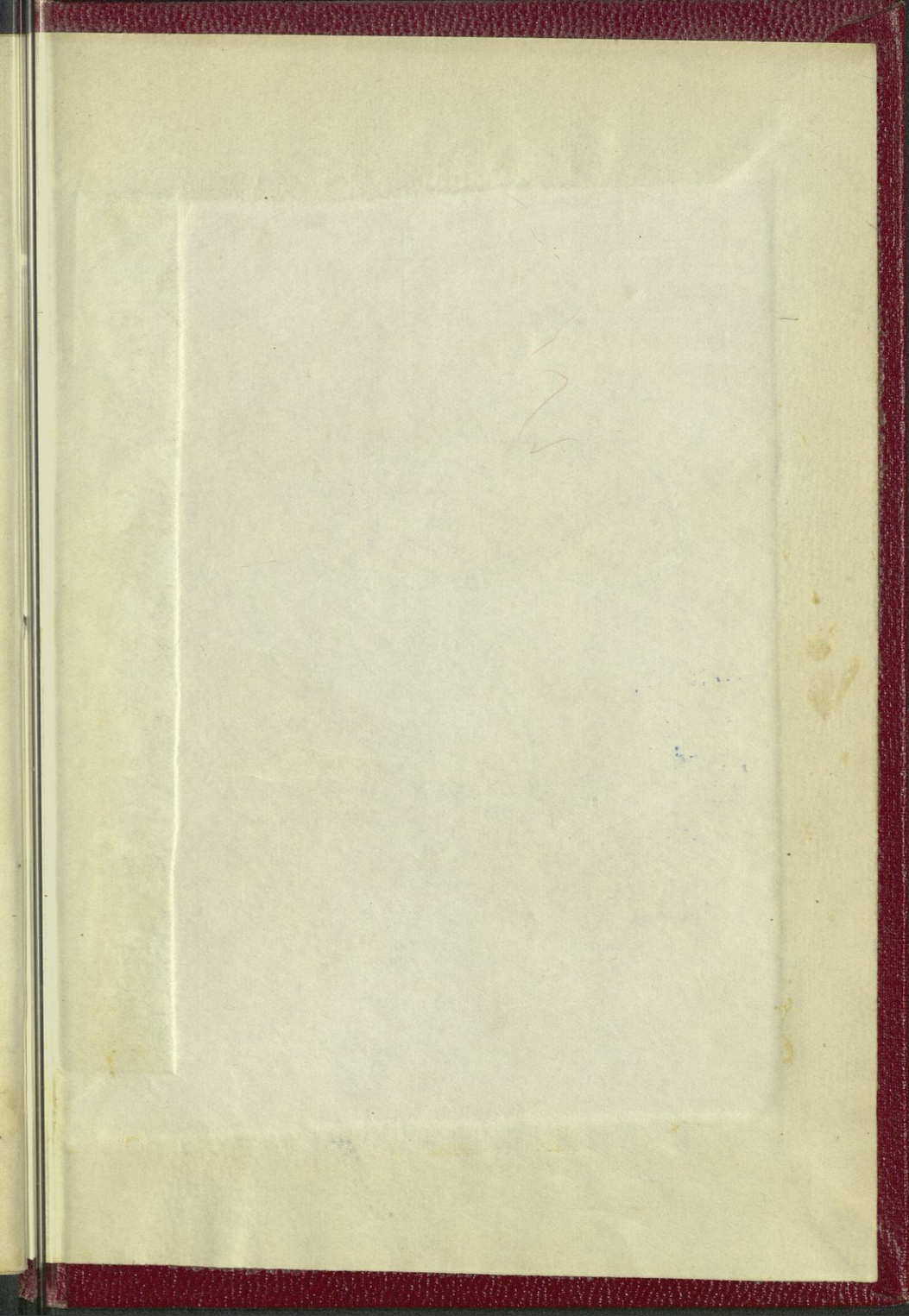
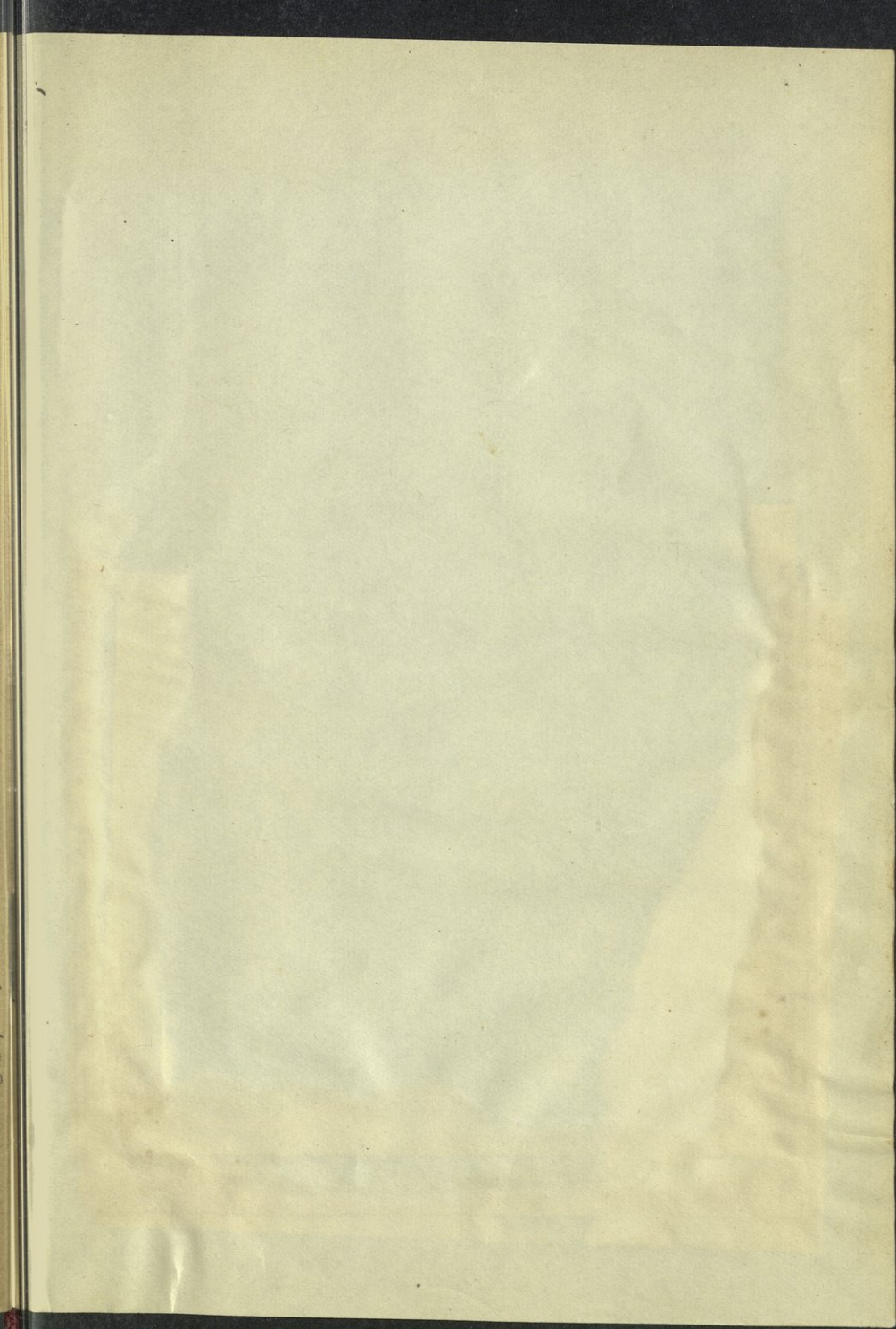


البراري

الكتلة الإسلامية



٩٧



297.09

B26KA

التحفة الإسلامية

بقلم

دكتور راشد البراوي

الطبعة الأولى

١٩٥٢

ملتزمة النشر والطبع

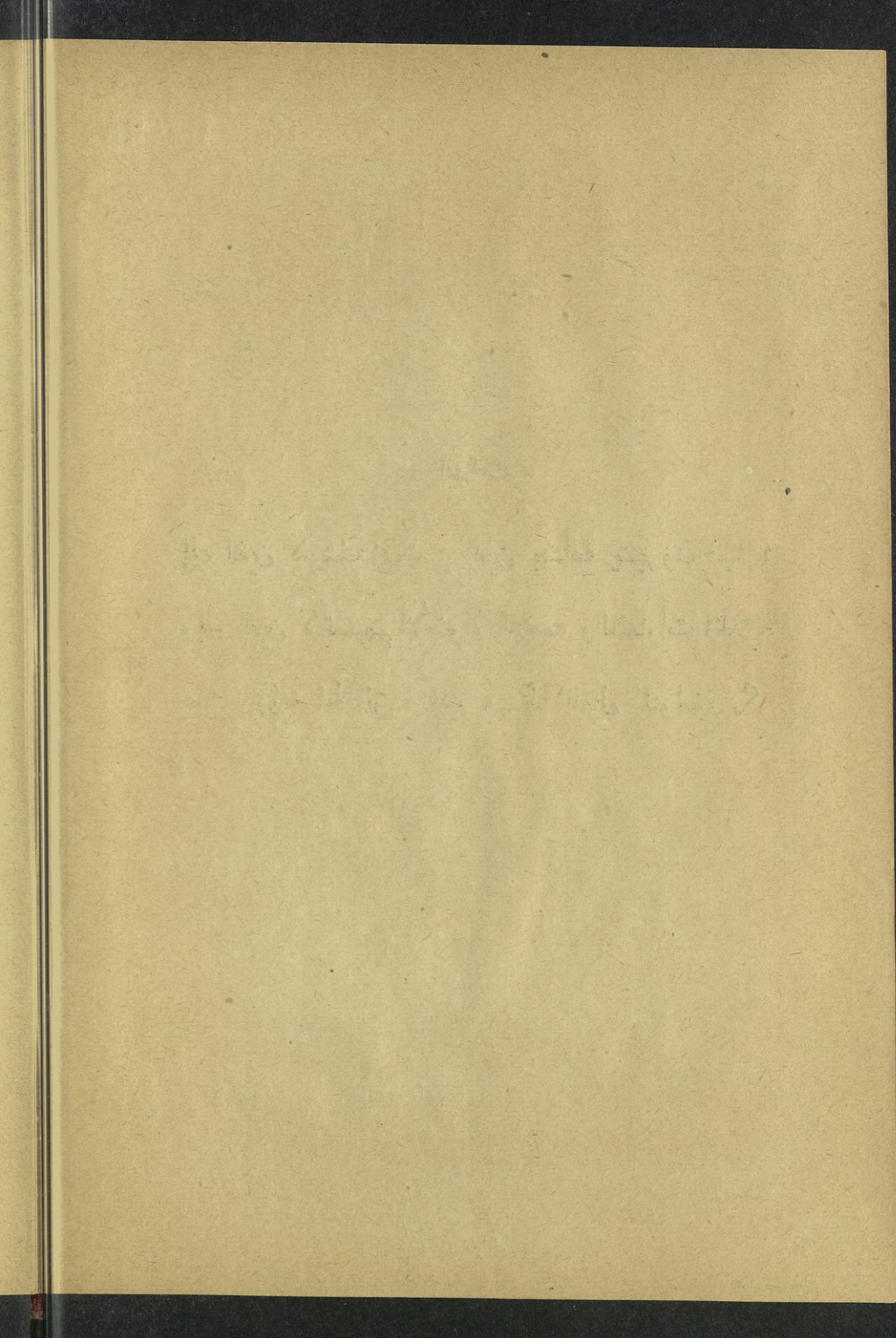
مكتبة النهضة المصرية
٩ شارع عدلي باشا - القاهرة

cat. 23 Nov. 53



الرهاء

إلى الذين لا يتخذون من الدين بضاعة يتجرون فيها ؛
وإلى الذين لا تغميهم الأضواء اللامعة والشعارات الخلابية
عن رؤية الحقائق ، أقدم هذا المقال المتواضع مـ



أول عمل من نوعه في المكتبة العربية :

مجموعة الوثائق السياسية

الجزء الأول

المركز الدولي لمصر والسودان وقناة السويس

جمعها وقدم لها وعلق عليها

دكتور راشد البراوي

٥٠ وثيقة بنصها الكامل ، تنشر لأول مرة في سفر واحد ،

مع تحليلها تحليلاً علمياً

الثنى $\frac{٣٥}{٣٥}$.

قريباً

الجزء الثاني

العالم العربي

الفى خدمة الثقافة الاقتصادية والسياسية :

للمكتور راسر البراوى

٤٥	الدولة والنظم الاقتصادية فى الشرق الأوسط
٤٠	الطريق إلى السلام
٢٥	النظام الاشتراكى
١٠	مشروعات الدفاع عن الشرق الأوسط
٥	(بالانجليزية Egypt, Britain and the Sudan)

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

تفضلت اللجنة الثقافية بجمعية الشبان المسيحية فدعني كعادتها في كل عام إلى إلقاء محاضرة ، وأبت إلا أن تظل حريصة على تقاليدها معي ، فتركت لي بالرغم من شديد اعتراضى ، حرية اختيار الموضوع الذى أحدث فيه . وهنا كانت المشكلة التى واجهتنى ، ذاك أنى أعتقد أن المحاضرة العامة يجب أن تتصل بالحياة أو بالظروف القائمة ، وبذلك تكون أمثال هذه المحاضرات وسيلة لتنوير الأذهان ، وتبادل الآراء ووجهات النظر .

ولم تطل بي الحيرة كثيراً ، ذلك أن الصحف نشطت فجأة إلى ترديد موضوع إنشاء ما أطلق عليه اسم الكتلة أو الجامعة الإسلامية ، ثم دخلت الدعوة فى نطاق شبه رسمى أثر التصريحات التى أدلى بها السيد ظفر الله خان خلال الأسبوع الأخير من فبراير الماضى ، أثناء مؤتمر صحفى عقده فى القاهرة . ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل وجهت بالفعل دعوة من جانب الحكومة الباكستانية إلى الحكومات الإسلامية الأخرى ، لحضور مؤتمر فى كراتشى كان قد حدد له اليوم الثامن عشر من إبريل عام ١٩٥٢ .

وأخذ الموضوع يشغل الأذهان ويشير التساؤل ، بل صار حديث الساعة كما يقولون ، ومن هنا ، وتمشياً مع نظرتي إلى الهدف من المحاضرات العامة ، ألفت في الكتلة الإسلامية ، المقترحة مادة جديدة بالاعتبار ، ورأيت لزوماً على كل أمرئ أن يبدي رأيه ، سواء كان الرأي لهذه الفكرة أو عليها . وليس من خطر أو حرج أن تقباين الآراء ، بل إن المصلحة العامة تقتضى هذا حتى يتسنى الوصول إلى الحقائق النسبية للأشياء .

وما أن ألفت المحاضرة حتى تفضل الكثيرون من سمعوا بأمرها ولم تتح لهم فرصة الاستماع إليها ، فطلبوا إلى أن أنشرها ، كما شاركهم ذلك الفضلاء من الذين سعدت بلقاؤهم في المحاضرة . وكان من الطبيعي أن أنزل على هذه الإرادة ، فأقدمت على طبع المحاضرة ، وها أنذا أقدمها ، مؤمناً بأنني إنما أودى بعض الواجب ، كما يفعل غيري ، إذ أتناول بعض جوانب المسائل العامة بالدرس والتحليل ، والله سبحانه تعالى نسأل أن يوفقنا جميعاً إلى الاضطلاع بنصيب من العمل من

أجل الخير العام .
رأس البراوي

كلية التجارة

جامعة فؤاد الأول

٣٠ أبريل ١٩٥٢

المرصم التاريخي

طريقة البحث :

ما من شك أن كل فرد مؤمن بالانسانية ووجدتها ، وحريص على قيام السلام العالمى ، يرحب ويؤيد كل ألوان التعاون الحقيقى بين الشعوب ، فى ميادين الاقتصاد والاجتماع والسياسة ، حتى تبحث أسباب المنازعات وتنتفى بواعث الحروب . ولا ريب كذلك أن الاسلام ، كغيره من الديانات الكبرى التى تقدمته من ناحية الزمن ، يدعو إلى التعاون والتكافل والتعاقد ، كما أن من مبادئ التسامح الذى هو الدعامة الرئيسية للتعاون والأمن والسلام ، سواء فى المجال القومى أو فى الميدان الدولى ، والتسامح يتركز التعصب أيا كان مصدره أو طابعه ، إذ هما نقيضان متعارضان :

ولهذا فنحن إذ نتناول ، بالقدر الذى يسعفنا به البحث والجهود ، الموضوع الذى يتردد تحت أسماء الجامعة الاسلامية أو الكتلة الاسلامية أو رابطة الشعوب الاسلامية يتعين علينا أن نعالج الأمر

على ضوء الايمان بأن التعاون هدف تنشده البشرية جمعاء وأن هذه الدعوات جميعاً خالية — أو ينبغي أن تكون خالية — من أية نزعة إلى التعصب الديني ، الذي يشهد تاريخ الدول الاسلامية بوجه عام أنه لم يلعب في حياتها وسياستها الداخلية والخارجية دوراً له أدنى القدر من الأهمية . ولكننا إذ نعرض إلى الموضوع ، إنما نضع نصب أعيننا هذه الأسئلة الجوهرية ، وعلى ضوء الاجابة الموضوعية عليها نستطيع دراسة الأمر كما ينبغي :

هل تتوافر المقدمات الأولية والمقومات الأساسية الموضوعية لكي تقوم جامعة أو كتلة بالمعنى السليم لتضم البلاد الاسلامية جميعاً ؟ وهل الظروف القائمة ، من داخلية ودولية ، في هذه البلاد ملائمة أو صالحة ، بحيث يكون تحقيق الفكرة عملياً وبمكنا ؟

وهل هذه الكتلة إذا ما أتبع لها أن تتكون اليوم أو في المستقبل القريب ، تنطوي على الامكانيات اللازمة التي تجعل منها قوة فعالة من أجل تحقيق الأهداف الكبرى للعالم الاسلامي ، وهي التحرر الكامل من شتى أنواع التسلط الخارجي ، السافر منه والمستتر ؟

وهل تستطيع أن تكون تنظيمًا ذا كيان له شخصيته وذاتيه ، أم تتحول إلى أداة تابعة يساء استخدامها مما يعود بالضرر على بلاد العالم الاسلامي ؟

وأهم من هذا ، لماذا نشطت الدعوة في هذه الأيام بالذات والتي فيها لبعض البلاد الاسلامية مثل مصر والعراق ، نزاع مع بريطانيا

مثلا ، وبعبارة أخرى . هل تكمن وراء الحماس الخالي أيدي خفية أو أهداف خفية نوعا ؟

هذه وأمثالها مما تنطوى عليه تلك الأسئلة ، هي الاعتبارات التي ينبغي لنا جميعها أن نجعلها في المقام الأول من تفكيرنا ونحن ندرس الأمر من الناحية العلمية أو الموضوعية أولا ، ومن الناحية التي تتصل بالمصلحة الحقيقية للشعوب الإسلامية ثانيا . وقبل أن نحلل الأمر نرى من الأوفق أن نعود إلى وراء قليلا أى إلى التاريخ حتى تكون السلسلة متصلة الحلقات وحتى لا يكون الماضي مرآة يعكس المستقبل عليها .

الردباء الكبرى :

إن الأديان الكبرى ، ومنها الاسلام ، تمثل في العصور التي تظهر خلالها مرحلة الانتقال من نظام اجتماعي سائد قد اعتراه الضعف والانحلال ، وفقد عناصر الصلاحية ، وانتفت منه القدرة على إشباع حاجيات المجتمعات البشرية إلى نظام أرقى درجة وأدنى إلى ارضاء مطالب الجماعة (١) ، وهذا يفسر لنا نجاح الأديان في الانتشار ، دون أن يحمل أصحاب الرسائل سيفا أو تكون وراءهم قوة مادية أو

(١) حين ظهرت المسيحية داعية إلى المساواة كان المجتمع الروماني قد أخذ يسير في طريق إزالة نظام العبودية Slavery بعد أن ثبت أن بقاءه لم يعد أداة للتقدم .

عسكرية . فالسر في انتشارها أنها تسبغ طابع الاستقرار على التنظيم الجديد الذي تبدو نواته أو بوادره ، فهي لا تلتفت إلى الوراء بمعنى أنها لا تعمل على إعادة أو بقاء ما نساد قبلها من نظم متباينة تنصل بحياة المجتمع ، ولسكنها تنظر دائماً إلى الأمام - إلى تنظيم اجتماعي جديد . حقيقة نجد الجانب الروحي في الأديان السماوية هو الذي له الغلبة أو هو الطابع البارز الذي يستأثر بالنظر ، ولكن الأديان في الوقت ذاته تشتمل على قواعد ومبادئ ، ولو من حيث الخطوط الأولية العامة ، وهي قواعد ومبادئ تمس الحياة الزمنية للجماعة في ميادين الاقتصاد والاجتماع والسياسة ، أما التفاصيل المتعلقة بالتطبيق من عصر إلى عصر فإنما هي متمشية مع درجة التطور ولهذا حدث النبي أنصاره أن تحقيق ما يتصل بأمور دنياهم أمر يتعلق بهم وهم المسئولون عنه ، أي عن طريقة التطبيق ، وهذا ما يلقي ضوءاً واضحاً على الجانب التطوري ، من الاسلام (١) . وعلى ضوء هذه الحقائق نستطيع أن نفهم السبب الذي من أجله انتشرت دعوة الاسلام إثر ظهوره ، في رقعة واسعة وفي فترة زمنية قصيرة ، واستطاع المسلمون النازحون من قلب شبه الجزيرة العربية أن يخلفوا أينما حلوا أثراً قوياً شاملاً ، ذلك هو الدين الجديد ، فضلاً عن لغتهم العربية في كثير من البلدان التي بلغوها ،

(١) من ذلك أن الاسلام تضمن مثلاً مبدأ الشورى وهو جوهر النظام الديموقراطي ولكنه لم يتعرض لطريقة التطبيق أو التنفيذ ، لأن هذه تكون متفقة مع روح العصر ودرجة تطور الجماعة .

ولو بعد حين . لقد كان الاسلام ، كأي دين سماوى آخر ، حركة
تقدمية فى حياة الجنس البشرى أى فى قصة التطور الانسانى .

عصر الخلافة الإسلامية :

قامت الخلافة الأولى فى عصر الراشدين الأربعة ، وسرعان
ما خلقتها الدولة الأموية لتحكم الاقطار الإسلامية من دمشق ، ثم
أعقبتها الدولة العباسية لتمارس السلطان والسيادة من بغداد . حقيقة
كانت هناك رابطة قوية بين تلك الاقطار المترامية ، وهى الدين ،
وتدعمها صلة أخرى هى نظام الحج الذى يتلاقى فى موسمهِ وفى مكان
واحد المسلمون على اختلاف عناصرهم ولغاتهم ونزعاتهم ، ذلك فضلا
عن اللغة العربية التى سادت رقعة واسعة من مناطق الخلافة الإسلامية ،
ولسكن هل توافرت للخلافتين الأموية والعباسية ، وللأخيرة منهما
على وجه الخصوص ، عناصر الدوام ؟ لقد تعرضت الخلافة الأموية
لانتفاضات من جانب فرق عدة ، ومن ناحية الأقاليم غير العربية
الجلس ، ولم ينقض وقت قصير نسبيا على قيام العباسيين بالأمر حتى
بانّت واضحة عوامل التفكك . ولسنا ننكر ، بعد انقضاء العصر العباسى
الأول ، أثر العناصر الدخيلة التى أفسدت جهاز الحكم ، ولكنه أثر
اقتصر على مجرد الاسراع بعملية الانحلال ، ذلك أن الولايات
والامارات النائية أو البعيدة عن قاعدة الحكم ، بالرغم من ولائها
للخليفة الذى كان يمثل فكرة أو ناحية روحية ! كان ولائها السياسى

يتضائل بل ويزول في كثير من الحالات ، كما يشهد بذلك تاريخ مصر
وشمالى إفريقيا مثلاً .

ثم قامت الدولة العثمانية وبسطت سلطانها على العالم الإسلامى إلى
جانب مناطق واسعة من أوروبا المسيحية ، ولكن لم تلبث عوامل
الانحلال أن دبت في كيائها ، وأخذت تسير قدما وباطراد في طريق
الهزال والانحلال حتى أصبح يطلق عليها عبارة « الرجل المريض » .
وإذا نظرنا إلى حالة أوروبا المسيحية خلال العصور الوسطى ألفينا
البابا يسيطر عليها سلطانة الروحي القوى ، كما تمثلت الوحدة الزمنية في
عصر شارلمان ، ثم بالنسبة إلى مساحة كبيرة منها خلال عصر
الامبراطورية الرومانية المقدسة ، إلا أن الأمر لم يستمر على هذا
النوال ، فأخذت كلمة القومية تملو حتى أصبحت من السمات الرئيسية
للتطور الأوروبى في العصر الحديث .

الدعوة إلى الجامعة الإسلامية :

واشتدت أزمة الشرق عامة وازداد الركود في العالم الإسلامى ،
وهو ركود شمل الأوضاع والأحوال الداخلية من اقتصادية
 واجتماعية ، كما أصابه الضعف في المجال الدولى ، وذلك كلها أسرع
القرن الثامن عشر الخطى . وهنا ظهرت الوهاية من قلب شبه الجزيرة
العربية ، تدعو إلى إعادة البناء الاجتماعى بالعودة ما إلى كان عليه

الحال في العصور الإسلامية الأولى . ولكن الأهمية الكبرى لتلك الدعوة كانت في جانبها الدولي إذ كانت تهدف حقيقة إلى عودة الامبراطورية أو الجامعة الإسلامية القديمة على أن يغلب عليها العنصر العربي . وتمخضت الوهابية عن حركة ماثلة من حيث الغايات ، ألا وهي السنوسية التي وإن لم تحاول الظهور بمظهر التعارض السافر مع الخلافة العثمانية ، فإن مثلها الأعلى كان توحيد البلاد الإسلامية بعد تطهير مجتمعاتها مما ران عليها من الجحود وانساب إليها من النقائص والبدع ، التي لا تمت إلى جوهر الدين بسبب .

واشتدت أزمة المجتمع الشرقي حدة وعمقا ، وبخاصة من حيث موقفه من الغرب ، فلم ينتصف القرن التاسع عشر حتى كانت فرنسا قد أكملت سيطرتها على الجزائر ورننت بأبصارها إلى تونس ومراكش ، وتسلبت الروس على الجماعات الإسلامية في إقليم القوقاز ، وأتم الانجليز أو كادوا استعمارهم لشبه القارة الهندية بهندوكيها ومسلميها ، وشعرت أفغانستان وإيران بضغط يهددهما من ناحية الانجليز والروس .

هنا وفي أذهان المفكرين الإسلاميين أن عالمهم يتعرض لخطر جدى وهو السقوط نهائيا تحت النير الغربي ، وبدأ الحديث يتردد عن الحاجة إلى رابطة إسلامية كأداة المقاومة ووسيلة للنجاة . واتسمت الفكرة في ذلك الحين بروح من العداء للغرب والنفور من كل ما هو غربي ، وهذا أمر له ما يبرره إذ لم يكن الغرب يمثل

سوى الخطر القائم أو الوشيك الوقوع . وحدثت حركات من المقاومة في أكثر من مكان . ففشلت ثورة في الجزائر ، وهب المسلمون في الصين ، وقام المهديون في السودان ، وكثر الزعماء والقادة ممن يدعى كل منهم أنه « المهدي » المنتظر لتخليص العالم الإسلامى وتحريره وتوحيده . ونظرية « المهدي » ترجع إلى أقدم العصور ، عرفها بنو إسرائيل ، واعتنقها المسيحيون فيما بعد ، وانتقلت إلى بعض الفكر الإسلامى . وكان ظهورها في مجتمع يقترب عادة بسوء الأحوال فيه وتطلع الناس إلى عصر جديد ، فالمهدى المنتظر إذن ما هو إلا الزعيم أو رجل الساعة الذى يرجو الناس أن يتمخض عنه التطور .

غير أن الدعوات التى شهدتها المجتمع الإسلامى من هذا القبيل فى القرن التاسع عشر قد أخفقت ، لا لكونها متفرقة من حيث المكان والزمان فحسب ، ولكن لأنها كانت تنطوى على قصور ذاتى ، ذلك هو تجاهلها روح العصر ، أو بعبارة أخرى محاولتها إغفال ثمار التقدم الذى حققته الانسانية على مر الزمان ، وهنا نلجس الفارق الكبير الجوهرى بينها وبين العالم الانسانى والمفسر الإسلامى . جمال الدين الأفغانى الذى يعتبر من أكبر الدعاة إلى فكرة الجامعة الإسلامية فى صورتها المستتيرة .

تلقت الأفغانى حوله فرأى أن العالم أو المجتمع الإسلامى الشرقى يشكو من الجهل والفقر والمرض والانقسام الداخلى وفساد نظم

الحكم وعجز رجال الدين عن الاضطلاع برسالتهم الحقيقية ، وأدرك كذلك أن العاطفة الدينية قوة يمكن الافادة منها في قضايا التطهير والتحرير ، وكان يعلم أن الاسلام ينطوى على المبادئ العامة للإصلاح مما يتفق مع العصر . كان الرجل يؤمن بالتطور الاجتماعي ، وأن التطور من أسس الاسلام ، وإذن — على حد قوله — « ما معنى باب الاجتهاد مسدود ، وبأى نص سد ، أو أى أمام قال لا يصح من بعدى أن يجتهد أحد ، .

ونظر حوله فاذا الخطر السكامن والقائم آت من ناحية الغرب ، ولكنه أيقن حقيقة لها أهميتها ، وهى أن قوة هذا الأخير تنحصر فى أنه قطع شوطا بعيدا فى طريق التقدم والارتقاء بالنسبة إلى الشرق ، وعنده — كما قال — « أن الدين لا يصح أن يخالف الحقائق العلمية ، فان كان ظاهره المخالفة وجب تأويله (١) . » وإذن ليس أمام المجتمع الشرقى إلا أن يقتبس ويطبق مقومات التقدم الغربى ، فى الاقتصاد والاجتماع ونظم الحكم [فى الدول - الفرعية فقط ... أما الخطوط العريضة ففى القرآن والسنة]

هذه النظرة الواسعة الآفاق هى التى لها الأهمية ، فاذا أردنا أن نحارب الغرب فلنلجأ إلى أسلحته ذاته : العلم فى كل ناحية ، أما أن

(١) أى ينبغي التفسير على ضوء الظروف والأوضاع ، وهذا هو الجانب « التطورى » فى الإسلام ، وهذا هو أساس « الاجتهاد » وهو مانادى به تلامذة جمال الدين الأفغانى من أمثال الأستاذ الإمام محمد عبده .

تجاهل ذلك فهذا ما يسعى إليه الغرب لكي تظل الأمم الشرقية تحت سلطانه ، وهذه الحقيقة أدركتها في القرن التاسع عشر دول مثل اليابان . إن قيمة الأفغانى والمستنيرين من أمثاله أنهم لم ينظروا إلى الوراء . لقد رأوا الحضارة قطعت مراحل واسعة ، وإذن ففي الحياة المدنية يجب الافادة من ثمار هذه الحضارة .

وهنا ظاهرة يحسن أن نلفت إليها النظر لأنها جديرة بالتأمل فالدول الأوروبية هي التي بذلت أكبر الجهود العلمية من أجل إحياء التراث الشرقى القديم ، وفي تمجيد الحضارة الشرقية القديمة . وقد ترجع هذه الجهود إلى العناية بالعلوم والأبحاث والدراسات ، ولكن هناك أغراضا أخرى وهي أن تستقر هذه الفسكرة في أذهان أهل الشرق فيقولون : خير لنا أن نعود إلى ماضينا كما كان . وهذا الماضى يختلف عن الحاضر ، فإذا آمن الشرقيون بهذا ونفروا من الحضارة الغربية بمعناها الصحيح فقد ران عليهم الركود والانحلال . إن من المستحيل ، كوسيلة للتقدم ، أن نحاول تطبيق نظم اقتصادية وسياسية في القرن الحاضر وكانت لها قيمتها منذ قرون خلت ، لأن الاعتقاد بإمكانية ذلك معناه أن نفترض في المجتمع الانسانى السكون بينما جوهره الحركة . قد يقول البعض ، ولكن الغرب قد استفاد من الحضارات القديمة ومنها الحضارة الشرقية ، وهذا قول صحيح . ولكن الغربيين لم يقفوا عند حد ما اقتبسوه وإنما اتخذوا منه أساسا ليشيدوا عليه صروحا جديدة ، وبذلك تفوقوا على الأمم الشرقية .

ومن الأمور التي تستهوي البعض ما يقال من أن حضارة الشرق روحية بينما مثلتها بالغرب مادية ، وهذه التفرقة التي يحاول الغربيون ، أو البعض من كتابهم ، تكيدها غير سليمة ، لأن لكل حضارة نشأت منذ أقدم العصور جانبها الروحي والمادي والنوع الأخير هو الذي يكفل للناس أمور دنياهم ويهيئ لهم سبيل العيش (١).

ويحسن هنا أن نوضح ما نرمي إليه حين ندعو إلى الأخذ بمظاهر الحياة الغربية أو إلى الاتجاه صوب الغرب . إننا نقصد في الواقع العلوم الطبيعية على اختلافها ، والفن الزراعي الحديث ، وأساليب الصناعة ، ووسائل النقل والنظم الصالحة في مسائل الحكم والإدارة والمالية والتعليم ، وشئون الحرب . وإذا تدبر المسلمون قول رسولهم « أطلبوا العلم ولو في الصين » ، يدركون كيف ضرب لهم المثل الذي يلبغى أن يحتذى ، ولا ريب أن المراد بالعلم في هذا المعنى كل ما يؤدي إلى ترقية حياة الناس وتوفير أسباب الرخاء والرفاهية عن طريق استغلال مواردهم وثرواتهم .

فلنا إن جمال الدين الأفغانى كان يطلب إلى كل مجتمع إسلامى

(١) إن الإسلام يشتمل على ركنين أساسيين هما العبادات والمعاملات ، والأول يمثل الناحية الروحية من حياة المجتمعات ، والثاني يتصل بالجانب الزمنى أى الأوضاع التي تنظم حياتهم المادية ، وفي أوروبا المسيحية نجد الأمرين كذلك ، ومن هنا يبدو خطأ القول بأن حضارة ما روحية صرفة والأخرى مادية بحتة .

قوى أن يطهر نفسه من المتناقضات والنقائص ، وأن يأخذ بأسباب الارتقاء ، ولكنه كان في الوقت ذاته يرى ضرورة التعاون بين هذه المجتمعات لمقاومة الضغط الأجنبي والتخلص من النير الاستعماري وهكذا أصبح ينظر إليه على أنه أكبر داعية في القرن التاسع عشر إلى فكرة الجامعة الإسلامية . ولكن ، كيف كان يريد لها الأفعاني ؟ لقد كانت غايته قيام جامعة من بلدان قدارتقت وتحررت ، لأنها في مثل هذه الحالة تستطيع أن تؤدى رسالتها من أجل الخير العام لأعضائها .

وكان لدعوة الرجل التقدمية والتحريرية صداها ، وأراد السلطان عبد الحميد الثانى أن يستغلها لدعم سلطانه وتقوية مركز الدولة العثمانية إزاء الدول الأوروبية ، فهو لم ينظر إلى الفكرة كهدف في حد ذاته ، ولكنه رأى فيها وسيلة لغاية . ومال العرب إلى الفكرة وأيدوا الدولة على أن تحقق لهم أهدافا كانوا يسعون إليها . وأكثر من هذا لقد توقعوا أن تعترف لهم الثورة التركية التى نشبت عام ١٩٠٨ بقدر كاف من الاستقلال المحلى أو الشخصية الذاتية ، ولكن سرعان ما خابت آمالهم أذ وضح أن رجال الثورة كانت تملك عليهم نفوسهم ففكرة الجامعة الطورانية وكانوا يعملون على تغليب العنصر التركى فى الدولة ، ومن هنا بدأت القومية العربية تنمو تدريجيا ، وأخذت فكرة الجامعة الإسلامية فى التضاؤل والانزواء ، وزاد ضعف الفكرة الجامعة حين قام العرب بشورتهم الكبرى فى الحرب العالمية الأولى ضد الدولة العثمانية ، وجاء الغاء الخلافة على يد السكاليين ضربة لفكرة

الرابطة أو الجامعة الاسلامية ، كما شهدت الفترة بين الحربين العالميتين نشاط القومية في البلاد العربية ، حتى صارت هي التيار الذي له الغلبة . هذا عرض موجز لفكرة الجامعة الاسلامية في القرن التاسع عشر ، ولإنها لتعيد إلى الذكرة محاولات مماثلة أو دعوات مشابهة من جانب الأوربيين بعد أن مزقت وحدة أوروبا أو تخضبت أرضها بالدماء نتيجة الحروب الدينية والصراع القومي . فقد نادى سلى Sully وزير فرنسا على عهد الملك هنرى الرابع ، بتسكين جامعة تضم الشعوب المسيحية بالقارة الأوربية ويكون لها مجلس يبحث في الخلافات التي قد يترتب عليها نشوب الحرب ، ومن ذلك أيضاً المشروعات التي تحدث بها أمثال ويليم بن وسان بيير (١) .

ظهور الباكستان :

ظل الحال كذلك إلى أن ظهرت إلى الوجود دولة باكستان بعد انتقال السلطة إلى أيدي أهل شبه القارة (الهندية - الباكستانية) في منتصف أغسطس من عام ١٩٤٧ ، وهنا عاد الحديث يتردد عن كتلة أو جامعة اسلامية ، ووجدت أنصاراً وهيئات يروجون لها وإن انبعث أعلى الأصوات من باكستان بصفة خاصة .

(١) راجع في هذا الفصل الثالث من كتابنا (الطريق إلى السلام) صفحة ٢٨ وما بعدها

سارعت الدول الإسلامية إلى الاعتراف بزميلتها الناشئة ، وتبادل الطرفان التمثيل السياسي ثم قامت الأخيرة بالعمل على توثيق العلاقات عن طريق معاهدات الصداقة ، ومن ذلك المعاهدة المعقودة مع إيران في ١٨ فبراير من سنة ١٩٥٠ ، ومع العراق في ٢٦ فبراير من السنة ذاتها ، كما وقعت اتفاقا للطيران المدني مع العراق (٢٠ يونية سنة ١٩٥٠) . وعملت كذلك على تنمية الروابط الثقافية ، كما كثرت الزيارات إلى البلاد الإسلامية من جانب أعضاء الوزارة الباكستانية ، فقام لياقت على خان بزيارة مصر وإيران والعراق ، وزار السيد غلام محمد وزير المالية ، بلاد تركيا وسوريا ومصر ، وتوجه وزير الداخلية خوجا شهاب الدين على رأس بعثة إلى الحجاز خلال موسم الحج في عام ١٩٤٩ حيث استقبله الملك عبد العزيز آل سعود . وفي الوقت نفسه دعت حكومة الباكستان جلالة شاه إيران دعوة رسمية لزيارتها «تعزيزاً للروابط الأخوية بين الشعبين الإسلاميين وإنماء لروح المودة الموجودة بين الدولتين الشقيقتين» (١)

المؤتمرات الاقتصادية الإسلامية :

وخطت باكستان خطوة أخرى أكثر أهمية لأنها تتصل بالميدان

(١) مجلة البشير (العدد السابع من السنة الثالثة ، أبريل — مايو سنة ١٩٥٠) ص ٢٨

الاقتصادي ، فدعت إلى مؤتمر اقتصادي إسلامي عقد بمدينة كراتشي في ٤ نوفمبر ١٩٤٩ ، وافتتحه السيد لياقت علي خان بقوله :

« الواقع أن الأهداف الرئيسية التي كانت تسعى إليها الرابطة الإسلامية والتي أدت إلى تأسيس باكستان ، توطيد عرى الروابط الأخوية بين مسلمي شبه القارة ومسلمي بقية أجزاء العالم الأخرى . وأهم ما يهدف إليه هذا المذهب هو جعل الأخوة الإسلامية حقيقة واقعة ، لذلك فإن من واجبات باكستان أن تبذل غاية ما في وسعها لتوطيد أواصر الصداقة والتعاون بين الدول الإسلامية ، وكثيراً ما أكد القائد الأعظم في خطبه أن على المسلمين بعد تحقيق حرياتهم في مختلف الدول الإسلامية أن يوحدوا صفوفهم ويتعاونوا متبادلين المشورة مع بعضهم بعضاً . »

وتكلم السيد غلام محمد قائلا :

« بالإضافة إلى ما يوجد بيننا من دين مشترك وشعور مشترك في الحياة وطرز مشترك . . . فإننا نؤلف وحدة جغرافية أيضا فأكثر الأقطار الإسلامية مناطق متجاورة عدا إندونيسيا . . . وهناك عامل ثالث من عوامل اشتراك المصالح بين هذه الشعوب ، ذلك هو طراز اقتصادياتها إذ أنها كلها ذات اقتصاديات زراعية لا تزال في مرحلة الزراعة . وهناك عامل رابع نشترك فيه جميعا رغم أنه لا يبعث على الرضا ، ذلك هو أننا جميعا أمم متأخرة فاذا ما قورنا بالغرب الصناعي

يكون غير كفء له نسبيا ، كما أن مستوى معيشتنا منخفض إلى حد
يؤسف له . والعامل الخامس ، وهو شر من العامل السابق ، هو أننا
وأن كنا مستقلين نوعا سياسيا إلا أننا لا نزال من الناحية الاقتصادية
في قبضة الأمم الغربية القوية ولم يستطع بعضنا ، حتى بعد الحصول
على الاستقلال التخلص من العبودية الاقتصادية .

وشهد العام التالي انعقاد المؤتمر الاقتصادي الثاني في مدينة طهران
(عاصمة إيران) ووردت في خطاب السيد غلام محمد العبارات الآتية
« إن هذا المؤتمر الإسلامي من الأقطار الإسلامية ومن الشعوب المسلمة
وهذه الصلة وحدها دليل على أن الإسلام هو الرابطة التي وحدت بين
شعوب تختلف عنصريا عن بعضها . »

ومن التصريحات التي أوردناها نصل إلى النتائج التالية :

أولا — أن البلاد الإسلامية تكون (أو ينبغي أن يكون الأمر
كذلك) وحدة جغرافية بينها رابطة الدين المشترك ، فضلا
عن الصلات الناشئة عن تماثل الأوضاع الاقتصادية .

ثانيا — أن تحقيق الأخوة أو الوحدة الإسلامية من الأسس
الجوهرية التي تقوم عليها السياسة الباكستانية ، ومن الغايات
التي تعمل من أجلها .

ولكننا نعرف من أقوال وزير مالية الباكستان أموراً أخرى وهي :

١ — ضعف هذه البلدان اقتصاديا لأنها مازالت تعيش داخل الغشاة .

الزراعى ولم تأخذ بعد بأسباب التطور الصناعى الحديث .
٢ — أن هذه الأقطار ليست تامة الاستقلال والسيادة ، أو أن هذا الأمر يصدق على معظمها .

٣ — أنها جميعا مازالت راضخة تحت العبودية الاقتصادية .

مؤتمر العالم الإسلامى :

وفى شهر فبراير من عام ١٩٤٩ اجتمع مندوبو البلدان الاسلامية بكراشى ، واتخذوا قراراً بتكوين « مؤتمر العالم الاسلامى » وهو مؤسسة ثقافية وغير رسمية ، وجعلوا مقرها فى العاصمة الباكستانية ولها فروع فى البلدان الاسلامية المختلفة . وهذا المؤتمر يهدف إلى اصلاح أمر المسلمين وجمع كلمتهم ورفع شأنهم وذلك بالوسائل الآتية (١) .

أولاً — بيان مبادئ الاسلام الحق كما وردت فى القرآن الكريم وسنة رسول الله بياناً دقيقاً واضحاً لكي يتسنى لهم فهمها على وجهها الأكمل والتزام أحكامها .

ثانياً — تحطيم قيود الوطنية العنصرية والنعرات القومية والضغائن الطائفية التى تولدت نتيجة لاختلاف الأوضاع الجغرافية والأحوال الإقليمية وتباين اللغات .

(١) البشير (العدد الحادى عشر من السنة الثالثة ، مايو ويونيو سنة ١٩٥١) ص ٢-٣

ثالثا - التعاون مع جميع البلدان الاسلامية بغية القضاء على جميع عوامل الشقاق والخلاف في سياسة المسلمين ، تلك العوامل التي لاغرض لها سوى الحيلولة دون وحدة المسلمين .

وفي ٩ فبراير من عام ١٩٥١ عقد الاجتماع السنوي الثاني ، وخطب الحاج أمين الحسيني داعيا (إلى الوحدة الاسلامية وفقا لقوله تعالى « إن هذه أمتكم أمة واحدة ، وإلى التكتل في سبيل الذود عن الاسلام شعوبه وعقائده ومقدساته ... وإلى الاخوة الاسلامية وفقا لقوله تعالى « إنما المؤمنون أخوة ، فينبغي الدعوة إلى تعاون المسلمين في كافة أمورهم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية (١) » .

ونادى رئيس الوفد السوري (٢) بالتكتل إذ « أن من خير الانسانية أن نتكتل نحن المسلمين ، ستمائة مليون على وجه الأرض (٣) » .
واتخذت اللجنة السياسية طائفة من المقررات منها .

١ - يسعى المؤتمر لدى الدول والشعوب الاسلامية للتقريب بينها وإزالة الخلافات القائمة بينها بما يراه من الوسائل الممكنة .

٢ - بعد التحقق من وقوع اعتداء أجنبي على قطر إسلامي أو دولة

(١) المصدر السابق ص ١٧

(٢) شرحه ص ٥١

(٣) لا ندري من أين جاء بهذا الرقم

إسلامية فإن المؤتمر يعتبر ذلك عدوانا على جميع الشعوب الإسلامية، وهو يوصي حينئذ الشعوب والحكومات الإسلامية بالمبادرة إلى مساعدة قطر أو الدولة المحتدى عليها بكل الوسائل الممكنة لازالة العدوان ضمن مبادئ الأخوة الإسلامية وميثاق الأمم المتحدة .

٣ — (الاتحاد الاسلامى) بما أن المسلمين فى شتى أقطارهم وأمصارهم أمة واحدة وتتأثر إحداها بما يصيب الأخرى ، وبما أن البراهين قد قامت على أنه لا سبيل فى هذا العصر للصمود لمشاكل الحياة بغير الاتحاد والتساند، فالمؤتمر يدعو الشعوب والدول الإسلامية كافة إلى الوحدة ومساعدة بعضها فى سبيل الدفاع عن الاسلام .

وعقد مؤتمر العالم الاسلامى فى اجتماعه الثانى جلسة خاصة بالسيدات وخطبت السيدة ماه منير مندوبة إيران وبما قالته وأنه لفرض لزام علينا ألا نألوا جهدا فى العمل على كل ما يهدف إلى تعزيز روابط الأخوة الإسلامية التى تضمن لنا التعاون سويا لضمان حقوقنا وحماية مصالحنا القومية . . . وليست الأخوة الإسلامية اليوم إلا نتيجة للجهود والتضحيات التى بذلتها الأجيال السابقة وعلى هذا فإن من واجبنا كمسلمين رجالا ونساء على السواء أن نحافظ على هذه الأخوة مهما كلفنا ذلك من مشاق وتضحيات .

ومن هذه المقتطفات المتنوعة نخلص إلى النتائج التالية :

١ — أن المؤتمر الاسلامى يسعى إلى تنمية الأخوة الاسلامية وانشاء الاتحاد الاسلامى على أساس التعاون الاقتصادى والثقافى والاجتماعى والسياسى ، وعلى مبدأ الدفاع المشترك .

٢ — وأنه يهدف إلى إزالة الفوارق القومية تمهيدا لقيام الأمة الاسلامية المتجانسة .

ومها قيل من أن المؤتمر هيئة غير رسمية وأنه يضم ممثلى الشعوب فالواضح من مقررات اللجنة السياسية التى ذكرناها أنه يعمل على قيام اتحاد من الدول الاسلامية ، سواء أكان على صورة جامعة الدول العربية أو النظام الأمريكى أو مجموعة البنلوكس أو منظمة شمال الأطلسى . وإذا كانت الحكومات لم تشترك فيه رسميا فليس معنى هذا إلا أنه مقدمة لتمهيد الأذهان وإعداد الأفكار . وما من شك أن الذين تتبعوا التطورات التى انتهت بقيام جامعة الدول العربية يعرفون كيف سبقت الانشاء ، خلال سنوات عدة ، مؤتمرات واجتماعات غير ذات صبغة رسمية ، وإنما كان يحضرها ممثلو الهيئات والجماعات غير الحكومية .

تصريحات ظفر الله خان في القاهرة^(١) :

ودارت الأيام كعهدها لا تلوى على شيء ، فإذا ما حل شهر

(١) جريدة « المصرى » العدد الصادر فى ٢٨ سنة ١٩٥٢ .

أكتوبر من عام ١٩٥١ ، وقد بدأ عقم المفاوضات بين مصر وبريطانيا العظمى ، أقدمت الدولة الأولى على إلغاء معاهدة ١٩٣٦ واتفاقيتي عام ١٨٩٩ (اللتين سبق عقدهما بشأن السودان) ، بعد أن تغيرت الظروف التي وقعت أو فرضت فيها تلك الوثائق حتى صارت غير ذات موضوع ، أو فقدت — بعبارة أخرى — روح التوافق مع العصر .

ولم يمض وقت على هذا الإلغاء من جانب مصر ، إلى جانب رفضها المقترحات التي تقدمت بها دول المملكة المتحدة والولايات المتحدة وفرنسا وتركيا بشأن إنشاء القيادة المتحالفة للدفاع عن الشرق الأوسط ، حتى فاضت الأنباء عن وساطات للتوفيق بين الطرفين أي بين وجهة نظر مصر القائمة على أساس الجلاء الشامل ووحدانية وادي النيل ، ووجهة نظر الدولة البريطانية وزملائها المستندة إلى فكرة النظام الدفاعي المشترك ، وهي وساطات اضطلعت بها دول إسلامية ثلاث وهي باكستان والعراق والمملكة العربية السعودية ومنهما اثنتان من أعضاء جامعة الدول العربية ، كما أن الدول الثلاث من البلدان التي ستكون منها الكتلة أو الرابطة الإسلامية أو الاتحاد الإسلامي ، ومع ذلك فإن مما يلفت النظر من ناحية مظاهر التعاون بين الشعوب المتماثلة في أوضاعها وتراثها وأهدافها ، أن هذه الدول الثلاث لم تعترف (حتى كتابة هذه السطور) باللقب الجديد الذي اتخذته مصر لرئيس الدولة الأعلى ، وهو لقب « ملك مصر والسودان » .

وقيل تبريراً لموقف الدول الثلاث انها منذ قامت بالوساطة لم تنشأ المبادرة إلى الاعتراف حتى تكون محاولتها التوفيق مشوبة بالحيداء المطلق ، وهي حجة تعوزها القوة فالهند مثلاً سبق لها ان اعترفت بحكومة الصين الشيوعية وابت الاشتراك في حرب كوريا ، ولم يثنها ذلك كله عن الاشتراك في محاولات عدة ، مع دول اخرى ، للتوفيق بين الجانبين المتنازعين في كوريا . ولا ريب ان الاعتراف الرسمي بلقب « ملك مصر والسودان » يشتمل على معنى التأييد الأدبي او السياسى لحركة مصر القومية التى جوهرها مناهضة السياسة الاستعمارية .

وتحدثت الأنباء كذلك عن نشاط ومساع دبلوماسية قام بها السيد ظفر الله خان فى باريس أثناء دور الإنعقاد السادس للجمعية العامة من هيئة الأمم المتحدة ، فلما انقضت الدورة ، وفد سعادته إلى القاهرة ، وفى الساعة الخامسة من بعد ظهر يوم ٢٧ فبراير سنة ١٩٥٢ دعا إلى مؤتمر صحفى فى فندق سميراميس ، حيث أدلى بتصريحات متنوعة هادلاتها وأهميتها وبخاصة لصدورها فى تلك الظروف ، فقال :
لقد قابلت فى جميع عواصم الدول الأربع (١) رؤساء الحكومات ووزراء الخارجية وكبار الزعماء ، ووجدت أن وجهات نظرها فيما يختص بمستقبل الشرق الأوسط الذى تعتبر با كستان جزءاً منه ، سواء من الناحية الثقافية أو المثالية أو السياسية ، متفقة فى معظم النقاط

(١) يقصد أقرة ودمشق وبيروت والقاهرة .

الرئيسية . . . وان أولئك الذين يعرفون سياسة باكستان ، والذين تتبعوا هذه السياسة منذ ان حصلت على استقلالها يدركون أن وحدة العالم الإسلامي هي أحد الأركان الرئيسية التي تقوم عليها عقيدة السياسة .
نم تحدث عن الخطوات التي يراها ضرورية وكفيلة بتحقيق هذا الهدف فقال إنها : —

أولا — تعزيز الروابط بين الشعوب الإسلامية عن طريق معاهدات سياسية وتجارية .

ثانية — تحقيق وحدة الغاية والقصد والعمل .

ثالثا — إيجاد نظام استثماري مناسب لجميع المسائل التي تهم الشعوب الإسلامية جميعا سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو ثقافية .

وبعد ذلك تطرق الوزير الباكستاني إلى موضوع له أهميته فقال إن مشروع الدفاع عن الشرق الأوسط لا يمكن أن يكون كاملا إلا إذا انضمت البلاد الواقعة شرقي المنطقة بحيث يشمل باكستان وأفغانستان وإيران والدول العربية وتركيا . . . ولا بد من تسوية الخلاف بين العرب وإسرائيل قبل تنظيم الدفاع عن الشرق الأوسط .

ومن هذه التصريحات المتكاملة من حيث غايتها نحصل على النتائج الآتية : —

أولا — أن الوحدة الإسلامية أساس تقوم عليه السياسة الخارجية لدولة باكستان وهدف تسعى جاهدة إلى تحقيقه ، وهذا يتفق مع التصريحات المماثلة والبيانات الأخرى ، التي أشرنا إليها

من قبل على لسان الساسة الباكستانيين في المؤتمرين الاقتصاديين الاسلاميين ، كما تتفق مع الاهداف التي وافق عليها المندوبون في مؤتمر العالم الاسلامي ، ومع مقررات اللجنة السياسية للمؤتمر الأخير أثناء دور انعقاده الثاني بكراتشي عام ١٩٥٠ .

ثانيا - والسبيل لقيام هذا الاتحاد أو الحلف الاسلامي يكون بعقد

المعاهدات السياسية والتجارية ، وإنشاء هيئة استشارية (أو نظام استشاري) بصدد المسائل المشتركة بين الشعوب الاسلامية ، من سياسية أو اقتصادية أو ثقافية . ومن الطبيعي أن هذه المسائل السياسية تتضمن الشؤون الدفاعية ، وأذن نستطيع أن ندرك أن ما يهدف إليه سياسة الباكستان هو إقامة حلف بين الدول أو البلاد الاسلامية لأغراض التعاون السياسي والعسكري والاقتصادي والثقافي ، كما هو الحال بالنسبة إلى جماعة الدول العربية أو حلف شمال الأطلسي .

و حين نشير إلى الناحية العسكرية ، فإن الإشارة تستند إلى حديث ظفر الله خان بشأن الدفاع عن الشرق الأوسط والدول التي يجب أن تشترك في إقامة هذا التنظيم .

ثالثا - إن الوزير الباكستاني يوافق على مشروع الدفاع عن الشرق الأوسط ، بأوسع المعاني التي يمثلها الاقليم ، بحيث يشمل باكستان وأفغانستان وإيران وتركيا والدول العربية (ومعنى هذا استبعاد المناطق الخاضعة للنفوذ الفرنسي في شمال

إفريقية لأنها لم تستكمل بعد مقومات الدول .

رابعاً — وثمت شرط ضرورى لانشاء هذا النظام الدفاعى بحيث يكون عاما شاملا ، وذلك هو اشتراك دولة إسرائيل فيه ، ومن هنا يتعين تسوية الخلاف بينها وبين الدول العربية .

دعوة إلى مؤتمر .

هذا ما تدل عليه بصورة واضحة التصريحات التى أدلى بها السيد ظفر الله خان فى مؤتمره الصحفى ، وسنرجى مناقشتها وتحليلها إلى موضع آخر . ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل إن السعى بدأ بصفة رسمية من أجل انشاء أو البحث فى وسيلة انشاء النظام الاستشارى ، ولهذا أعلن السيد ظفر الله فى البرلمان الباكستانى (١) فى ٥ أبريل من عام ١٩٥٢ أن رؤساء وزارات مصر والعراق والمملكة العربية السعودية والأردن واليمن وسوريا وليبيا وافقوا على الاشتراك فى المؤتمر الذى اقترحه الباكستان لاقامة نظام لتبادل العلاقات بين الدول الاسلامية ، وأن الدعوة وجهت كذلك إلى أفغانستان وإيران ولبنان وتركيا وإندونيسيا . ولقد أذاع راديو كابول رفض أفغانستان

(١) جريدة الأهرام ، العدد الصادر فى ٦ أبريل سنة ١٩٥٢

وكذلك فعلت لبنان . وكان موعد المؤتمر ١٨ أبريل ١٩٥٢ ولكن
تقرر تأجيله .

الرعاية عبر الرسمية :

ننتقل الآن إلى ما تحدث به الكتاب في موضوع التكتل الاسلامي
وهنا نعود إلى كتاب « السلام العالمي والاسلام » ، لمؤلفه الأستاذ
سيد قطب ، فبعد أن استعرض التكتل الدولية الكبرى القائمة
اليوم وانتقد أهدافها تحدث عما ينبغي للأمة الاسلامية (١) أن
تفعله فقال :

« والخطوة الثانية هي تكتل هذه الدويلات والدول تحت الراية
الاسلامية تكتلها في ميدان السياسة الدولية ، وفي المجال الاقتصادي ،
وفي المجال الحربي سواء « تكتلها على أساس أنها . أولاً : تطلب
الاستقلال والحرية كاملين لها ولأهلها جميعاً وأنها ستكون حرباً على
كل معتد على هذا الاستقلال . وأنها ثانياً : تقف ضد كل اعتداء وكل
استعمار من أى نوع على ظهر هذه الأرض جميعاً . وهذه التكتلة

(٢) أن عبارة « الأمة الاسلامية » لها مغزاها ، فهو يرى أن الفوارق القومية
والعنصرية واللغوية لا قيام لها ، وأن الأساس الوحيد هو المشاركة الدينية ، ولكن
المعروف أن تمت عوامل عدة لابد من توافرها في تكوين الأمة .

المتجانسة هي التي تملك أن تحمل راية جديدة ، تمثل فكرة انسانية جديدة ، وتلوح بها للبشرية الضالة المعذبة الشقية المنسكودة .

ومن أكبر الدعاة كذلك شودرى خليك الزمان رئيس حزب الرابطة الاسلامية السابق فهو صاحب فكرة « اسلامستان » أو الكتلة الاسلامية ، وإن كنا نعتقد أنه ليس بصاحبها وإنما هو من أكبر المروجين لها (١) . وفي جريدة « منبر الشرق » بالعدد ٦٨٦ الصادر في ٢٥ مارس سنة ١٩٥٢ نقرأ العبارة التالية في مقال بعنوان « التطور الاسلامى » :

تطورت أفكار مفكرى الشعوب الإسلامية في البحث عن الوسائل التي يضمنون بها مصالح أبناء أوطانهم تبعاً لما وصلت اليه فلسفة السياسة الدولية ، فوجدوا أنهم أقرب إلى عواصم الدول الإسلامية المجاورة منهم إلى عواصم الدول الأوروبية والأمريكية ، وجدوا أن مصالح الإسلام والمسلمين وأوطانهم في الهيئات الدولية التي اشتركوا فيها في أخطاء مستمرة أو إهمال ملحوظ ، وأن العلاج الوحيد لا حوالهم وما يواجهونه من أخطار هو تكتل إقليمي أساسه العوامل المشتركة .

وكتب الأستاذ « سيد قطب » يتحدثنا عن نطاق هذه الكتلة

(١) يرى الرجل الفاه جامعة العربية لتجمل عملها الدول الإسلامية كما يتصورها .

الإسلامية فقال إن هذه الكتلة المتصلة الحدود من شواطئ الأطلنطي إلى شواطئ الباسفيكي والتي تضم مراکش وتونس والجزائر وليبيا ووادي النيل وسوريا ولبنان والعراق والأردن والجزيرة العربية واليمن وتركيا وإيران وأفغانستان وباكستان وإندونيسيا .

هذا عرض موجز حاولنا فيه أن نلم بالفكرة وأهدافها وتطوراتها بلسان دعائها والمروجين لها ، وآن لنا الآن أن نتناول الموضوع بالتحليل .

التحليل والتفسير

هل وحدة جغرافية ؟

حين تحدث السيد غلام محمد في المؤتمر الاقتصادي الاسلامي ، وصف البلاد الاسلامية بأنها تكون « وحدة جغرافية » . وهنا تتسامل عن مدى دقة التعبير من الناحية العلمية . إن الاقليم الطبيعي تتماثل أجزاؤه من حيث الخصائص المناخية المتنوعة والنباتية وحرف السكان ، ومن هنا نتحدث عن الاقليم الاستوائي و اقليم غرب أوروبا والاقليم الموسمي و اقليم البحر المتوسط . فاذا ما نظرنا إلى البلاد الاسلامية على ضوء هذا التعريف للاقليم الطبيعي وجدنا أنفسنا أمام التقسيم الآتي :

١ — تنتمي إندونيسيا ، الواقعة في الجنوب الشرقي من آسيا والتي تفصلها عن بقية العالم الاسلامي مسطحات مائية واسعة ، إلى الاقليم الاستوائي ، وهي تكاد أن تكون وحدة جغرافية قائمة بذاتها .

٢ — تنتمي باكستان إلى شبه القارة الهندية - الباكستانية ، وهذا البلد نفسه لا يمثل وحدة جغرافية أو إقليمية متماسكة ، ذلك أنه ينقسم إلى منطقتين إحداهما بالغرب في حوض نهر السند . والثانية

بالشرق في دلتا نهر السكنج ، وتفصل بينهما أراضي اتحاد الهند لمسافة طولها نحو من ألف ميل .

٣ - إن أفغانستان وإيران أقرب إلى إقليم وسط آسيا ، بل هما من أجزائه . وطبقا للتقسيم الاقليمي لدى الجغرافيين كان الشرق الأوسط بمعناه الصحيح يشمل هذين البلدين .

٤ - تدخل تركيا وسوريا ولبنان والأردن وفلسطين ومصر في نطاق الشرق الأدنى . وإذا جعلنا هذه البلدان من إقليم حوض البحر المتوسط أمكن في هذه الحالة أن نضيف إليها بقية البلدان الاسلامية الواقعة على الساحل الشمالي للقارة الافريقية .

٥ - أما شبه الجزيرة العربية فانها ، أو أغلبيتها الساحقة ، تمثل اقليما جغرافيا أو طبيعيا قائما بذاته وهو الاقليم الصحراوي .

ومن هنا يتضح لنا أننا أمام خمسة أقاليم جغرافية متباينة ، ولسنا أمام اقليم جغرافي واحد . وإذا قيل إن هذه البلدان تمثل وحدة أرضية متصلة واقلها هو الشرق الأوسط ، كما يستدل من تصريحات السيد ظفر الله خان المشار إليها . فانه تطالعنا اعتبارات تتنافى هذا التحديد كما نقرأ في الفقرة التالية^(١) :

Royal Institute of Internsational Affairs : The Middle (١)

East, p. 1. (London 1950).

« إن الشرق الأوسط اصطلاح سياسى أكثر منه جغرافى ، وعم استعماله نتيجة إنشاء القيادة البريطانية للشرق الأوسط والمنظمات المدنية المماثلة خلال الحرب . وجرت القاعدة الجغرافية الدقيقة على التمييز بين الشرق الأدنى ويشمل اليونان وبلغاريا وتركيا والشرق (الليثانت) ومصر . وبين الشرق الأوسط ويضم بلاد العرب وأرض الجزيرة وفارس وأفغانستان ، . ثم يعود المصدر المشار إليه فيقول « إنه سيعالج الموضوع على أساس ان الشرق الأوسط بمعناه السياسى الحديث يشتمل على شبه الجزيرة العربية وقبرص ومصر والأردن والعراق وإيران ولبنان وسوريا وإسرائيل وفلسطين العربية والسودان وتركيا . »

ومهما يكن من أمر فإن هذا التحديد الواسع نستخلص منه أولا وقبل كل شىء . أن اقليم الشرق الأوسط ، ونستطيع القول على ضوء الضرورات والاعتبارات الاستراتيجية والحديثة انه عبارة عن وحدة جغرافية ، لا تنتمى إليه البلاد الآتية :

١ — مراکش والجزائر وتونس .

٢ — أفغانستان وباكستان .

وإذن ليست البلاد الاسلامية وحدة جغرافية لا أكثر من سبب كما ان باكستان وإيران ليسا من الشرق الأوسط بخلاف ما اشار إليه وزير الخارجية الباكستانى فى مؤتمره الصحفى ، الذى سلفت الاشارة إليه .

القوة النسبية :

وحين نحاول أن نقدر مدى القوة النسبية للتكتلات الدولية ،
يقتعين علينا أن نتخذ طائفة من المقاييس منها عدد السكان ، والطاقة
الاقتصادية ، وعناصر الوحدة الاقتصادية . وقبل أن نبحث الأمر
من هذه الزاوية فننقل العبارات التالية من كتاب « السلام العالمى
والاسلام » ، لأنها توضح إحدى حجج الداعين إلى الاتحاد أو الحلف
أو التكتل الاسلحى :

« هذه الكتلة التى يُربى عددها على مائتين وخمسين مليوناً من
السكان والتى تملك أغنى منابع البترول والمواد الخامه ، والتى تحكم
بمواقعها الاستراتيجية فى مواصلات العالم . هذه الكتلة تملك أن
يكون لها وزن ، حتى ولو كانت مجردة من السلاح ، وتملك أن تجعل
كل كتلة من الكتلتين المتنازعتين تفكر مرتين قبل الاقدام على
حرب ، تحتاج فيها هذه المناطق الشاسعة ، التى تقوم حاجزاً بين
الكتلتين لا تلتقيان إلا باجتياحه ، وتفكر مرات قبل أن تظل
مصرة على سياستها الاستعمارية الطاغية الباغية فى هذه الأرض
المنكوبة بلعنة الاستعمار . »

ومعنى هذا أن هذه الكتلة الاسلامية تصبح عنصر توازن بين
الكتلتين الشرقية والغربية فتحول دون الحرب ، وبذلك تكون قوة

فعالة من أجل المحافظة على السلام والأمن الدولى . فهل هذا الأمر صحيح كما يبدو من ظاهره ؟ لا أحب أن أناقش عبارة الكاتب من حيث أن هذه السكتلة تملك أن يكون لها وزن ، حتى ولو كانت مجردة من السلاح إذا أريد لسكتلة أن يكون لها وزن ، أو أن تؤثر فى المجال الدولى ، وجب أن تكون مقاربة لاحدى السكتل الرئيسية ، فهل هذا هو الواقع ؟ للإجابة عن السؤال نورد الملاحظات التالية :

أولا — لو رجعنا إلى الناحية العددية ألفينا أن عدد سكان العالم حوالى ٢٠٠٠ مليون نسمة ، وتشتمل كل من السكتلتين الرئيسيتين على حوالى ٧٠٠ مليون ، بينما البلاد الاسلامية لا يربو عدد سكانها على ٢٥٠ مليوناً موزعين فى مناطق متباعدة .

ثانياً — ولكن العبرة ليست بعدد السكان وحده بقدر ما هى بالطاقة الانتاجية والخبرة الفنية والتفوق المالى . . . وفى خطاب لياقت على خان فى المؤتمر الذى أشرنا إليه نراه يصف حال البلاد الاسلامية فى هذه العبارات ذات الدلالة والمعزى .
« إن جميع البلاد الاسلامية تقريباً هى بلاد زراعية ، وإن أكثرية سكانها تعيش على الزراعة وعلى ما تنتجه من مواد أولية ، وكلها تصدر هذه المنتجات الزراعية وتستورد

المصنوعات . ومن النتائج المترتبة على ذلك أن مستوى معيشة هذه الشعوب أوطأ من مستوى المعيشة في البلدان الصناعية . . والذي نعلمه أن هذه البلاد جميعا على جانب كبير من التخلف من ناحية الأخذ بأسباب الثورة الصناعية ، والصناعة وبخاصة الثقيلة ، وهي مصدر القوة والكفاية . وإذا حاولنا أن نتعرف أهم أسباب قوة « حلف الأطلنطي » ، مثلا لوجدنا أنها تنحصر في كون كثير من البلاد الأعضاء دولا صناعية راقية ، كما أن على رأس تلك المنظمة الولايات المتحدة ، التي تعد الآن من أعظم وأغنى الدول الصناعية في العالم .

ويقول الكاتب الفاضل صاحب « السلام العالمي والاسلام » ، إن البلاد الإسلامية تملك أغنى الموارد الخام وأغنى موارد البترول ، ولا ريب أن هذه العبارات في حاجة إلى التوضيح ، إذ ليس هناك أخطر من إغفال الحقائق الجغرافية . فإذا استثنينا مادة الجوت Jute وتكاد تحتكر إنتاجها باكستان الشرقية ، والمطاط وتشتري في إنتاجه إندونيسيا . فإن بلاد هذه الكتلة تكاد تكفي نفسها بنفسها من الناحية الغذائية ، أما القطن فأعظم مراكز إنتاجه مصر . ولكن مقدار هذا الانتاج لا يتجاوز ٤ ٪ من الانتاج العالمي . فهو إذن يمثل نسبة ضئيلة إلى حد بعيد .

وفيما يتعلق بالبترول فالتعلم حقيقة أن إنتاج الشرق الأوسط

في نهاية عام ١٩٥٠ وصل إلى ١٨,٣ ٪ من الانتاج العالمي ، وأر
الاحتياطيات الثابتة proven reserves (أى التى ثبت وجودها)
تعاادل ٤٢ ٪ من الاحتياطى العالمى (١) . ولكن السؤال الذى يتعين
أن يجاب عنه هو : من ذا الذى يتحكم فى الوقت الحاضر فى هذه
الثروة من حيث انتاجها وتكريرها ونقلها وتسويقها ؟ إنه المصالح
التي تنتمى إلى دول بريطانيا العظمى والولايات المتحدة وفرنسا
وهولنده ، كما تدل على ذلك الدراسة العابرة للشركات وتسكينها ،
أما نصيب الحكومات المنتجة فيسير ، وهو — على الرغم من الزيادة
التي طرأت عليه أخيراً فى حالة المملكة العربية السعودية والعراق
والكويت — ما زال أقل منه فى حالة بلد مثل فنزويلا . . . أما من
الناحية المالية التي لا بد منها لتنفيذ مشروعات التقدم الاقتصادى
والتنمية الاجتماعية فالمعروف أن البلاد الاسلامية جميعا تدرج فى
عداد المناطق المتخلفة ، وهذا بالإضافة إلى ماتعانيه من نقص فى الخبرة
الفنية وهى من الشروط الأولية لتحقيق التقدم عامة .

وليس من اليسير القول أن مجموعة البلدان الاسلامية تكون وحدة
اقتصادية متكاملة لأنها تنتج مواد أولية متماثلة فى معظم أجزائها ، كما أن
الصناعات القائمة أو التي يرجى لها أن تنشأ متشابهة ، واذن فهذه الاقطار
متنافسة وليست متكاملة وذلك نتيجة التماثل فى الأوضاع الاقتصادية .

الافتراضات الجنسية واللغوية :

وأكثر من هذا فإن البلاد الإسلامية تفتقر إلى عناصر أخرى من مكونات الوحدة ، فهي تتفاوت من حيث الجنس فأهل اندونيسيا يختلفون عن سكان باكستان ، وهؤلاء جميعاً يفترون بصورة واضحة عن سكان البلاد العربية . ولا يقف الأمر عند هذا الحد بل إن هناك الاختلافات التي ترتد إلى اللغة ، وأما اللغات التي يتحدث بها أهل البلاد العربية وتركيا وإيران وباكستان واندونيسيا ، ولا مرأ أن وحدة اللسان عنصر له أثره في نمو الوحدة الثقافية بين الدول والشعوب .

الوضع الدولي :

ننتقل الآن إلى معالجة الموضوع من زاوية أخرى ينبغي أن يكون لها خطرها ووزنها ، ونقصد بذلك مدى ما تستطيع كتلة من هذا القبيل أن تحققه من خير أو مصلحة لمختلف أعضائها ، وبصورة فردية أو جماعية . وواضح أن الهدف الأكبر الذي تسعى إليه الشعوب الإسلامية جاهدة ، هو أن يتحرر من السيطرة الأجنبية السياسية ما كان منها خاضعاً لها ، وأن تلتقي من بلادها جميعاً كافة ألوان الاستغلال الاقتصادي الأجنبي الذي يخرج عن نطاق التعاون الدولي . إن العالم ينقسم إلى بلاد متخلفة وأخرى متقدمة من النواحي الاقتصادية

والاجتماعية وتستطيع الاولى أن تفيد من خبرة الثانية وثروتها وعلومها
كما تخرج من دائرة التخلف أو الركود ، ولكن على شريطة أن
يكون التعاون بعيداً عن روح الاستغلال .

إن الكتلة المراد تكوينها تصبح غير ذات موضوع إذا لم تستطع
أن تصل بالبلاد الاسلامية إلى هذه الغاية الرئيسية . فهل الأمر في
حين الامكان وبعبارة أكثر تحديداً ، هل تستطيع مثل هذه الكتلة
إذا ما تبلورت فكرتها فصارت جسماً ذا كيان مادي ، أن تتخذ سياسة
عملية وواقعية تتفق وصالح العالم الاسلامي أو أهدافه الحقيقية ؟
للإجابة على هذا السؤال نرى لزوماً علينا أن نعرض في ايجاز للوضع
الدولي الذي نلقى عليه الأعضاء الذين ينتظر أن يضمهم هذا التنظيم
الاسلامي الشامل .

١ — ان الجزائر جزء من فرنسا أي إحدى مقاطعاتها كما ينص على
ذلك الدستور الفرنسي ، اما مراکش وتونس فخاضعتان
للمحماية الفرنسية التي فرضت عليهما في ظروف سابقة وتحت
ضغط القوة .

٢ — ليبيا الحديثة العهد بالاستقلال ما زالت امامها مشكلة التخلص
من القوات والقواعد الأجنبية في مناطقها الثلاث وهي برقه
وطرابلس وفزان .

٣ — مصر والمملكة الأردنية الهاشمية والعراق بلاد معترف باستقلالها وسيادتها في معاهدات عقدتها مع بريطانيا العظمى ، ولكن هذه المعاهدات تقيد سياسة هذه البلدان الثلاث الخارجية بحيث لا تتعارض مع أهداف السياسة البريطانية ، كما أنها تنص على إبقاء قواعد وقوات عسكرية بريطانية في مناطق معينة وإن لم يكن لذلك صفة الاحتلال^(١) .

٤ — أن معاهدة الظهران المعقودة بين المملكة العربية السعودية وحكومة الولايات المتحدة تنص على قاعدة جوية أمريكية وبها قوة عسكرية ، ويتمتع أفرادها بامتيازات وإعفاءات خاصة^(٢) .

٥ — الإمارات والمشيخات العربية المتناثرة على ساحل الخليج الفارسي مقيدة بمعاهدات مع بريطانيا يرجع بعضها إلى القرن التاسع عشر ، وكلها تجعل منها مناطق خاضعة للدولة الأخيرة ، وفي البحرين ذاتها قاعدة بحرية وجوية بريطانية . وعلى الساحل الجنوبي من شبه الجزيرة العربية نلقى أماننا مستعمرة عدن البريطانية ، فضلا عن المحميات الأخرى .

٦ — أصبحت تركيا من أعضاء منظمة شمال الأطلسي ، وهي إحدى دول أربع سبق لها أن تقدمت إلى مصر بمذكرة تدور حول إنشاء قيادة متحالفة للدفاع عن إقليم الشرق الأوسط . وتركيا حين انحازت

(١) وهذا جوهر أو أساس الخلاف مع بريطانيا ، ولهذا يجمع المصريون جميعا على الجلاء .

(٢) جددت في يونيو من عام ١٩٥١ .

إلى منظمة شمال الأطلسي إنما فعلت ذلك لضرورات واعتبارات وثيقة الصلة بمصالحها الاستراتيجية والاقتصادية والدولية ، غير أن الذي يعيننا من الأمر أنها مرتبطة بكتلة من دول لبعضها مصالح تحاول البلاد الإسلامية التخلص منها ، الأمر الذي يجعل موقف الدولة التركية عسيراً أو يشوبه التناقض إذا ما صارت عضواً في الكتلة الإسلامية ، وتعارضت أهداف هذه الأخيرة مع مقتضيات سياسة منظمة الأطلسي . وأكثر من هذا ، ماذا يكون موقف أعضاء الكتلة الإسلامية إذا كانت بينهم معاهدة للتعاون العسكري المشترك ، وإذا ما اشتبكت تركيا في حرب نتيجة كونها جزءاً أساسياً من حلف الأطلسي ؟ هذه كلها اعتبارات جديرة بالنظر والبحث والدراسة .

٧ — إندونيسيا جزء من الإتحاد الهولندي - الاندونيسي ، فهناك ينبغي أن يتوافر الاتساق في الأهداف والسياسة الخارجية للعضوين ، وأحدهما وهو هولنده جزء من منظمة الأطلسي منذ تكوينها .

٨ — أما باكستان فهي جزء من مجموعة الأمم ، البريطانية والتي يرتبط أعضاؤها المتساوون في حقوق الاستقلال والسيادة ، برابطة التاج البريطاني . . حقيقة كل عضو من هؤلاء له الحرية في السياسة الخارجية التي تتفق مع مصالحه كما حدث بالنسبة إلى إنجلترا والهند مثلاً حين أعرفتا بالصين الشيوعية ، وحين ابت الهند الاشتراك في حرب كوريا ، ولكن الملاحظ أن لأعضاء المجموعة وجهات نظر متباينة بالنسبة إلى الكثير من المشكلات الدولية .

هؤلا. هم اعضاء الكتلة الاسلامية المقترحة ، وهم اما بلاد
مستعمرة او خاضعة لحماية اجنبية فعلا ، او بلاد مستقلة ولكن استقلالها
محوط بقيود تحد منه في ناحية أو أخرى ، او بلاد ذات صلة وثيقة
ببلاد غير افريقية واميبوية وبينها وبين بعض اعضاء الكتلة الاسلامية
خلافات جوهرية . ومن هنا يتضح ان الذين يعارضون الآن في قيام
كتلة من الدول الاسلامية يخشون ان تصبح عاجزة فعلا عن
الاستقلال برأيها او الا تكون لها شخصية ذاتية في الميدان الدولي .
وفي الوقت نفسه يصعب تصور انضمام الجزائر وهي مقاطعة فرنسية ،
ومراكش وتونس الخاضعتين للحماية في تنظيم من هذا القبيل ، وكلها
اقطار سلبية الارادة وحرية التصرف في المسائل الخارجية او الدولية
بصفة خاصة .

وأكثر من هذا فان هناك خلافات بين هذه البلاد الاسلامية
ما زالت تتطلب التسوية والحل ، ومن ذلك الخلاف بين باكستان
وافغانستان ، وبين سوريا وتركيا بشأن منطقة الاسكندرونة التي
اقتطعتها فرنسا من جسم الدولة السورية مخالفة بذلك صك الانتداب .

موقف لبنان :

وتمت مسائل أخرى جديرة بالاعتبار والنظر حتى لا تخرج
الفكرة وقد اشتملت على ثغرات وعناصر ضعف في المستقبل . لقد
قبل لبنان الاندراج في سلك جامعة الدول العربية ذلك انها لا تقوم

على أى أساس دينى ولا تحمل طابعا أو اسما دينيا ، فهل ينتظر منه أن ينضم فى هذه الحالة إلى كتلة جوهر قيامها الوحدة فى التراث الدينى ، أم تراه يؤثر أن يظل بعيداً عنها ؟ من الطبيعى أن يقول البعض إنه بالرغم من الاسم أو التسمية فالتنظيم المقترح لن يسترشد بسياسة ذات طابع دينى وأن المبادئ الإسلامية ذاتها تنكر وتستنكر التعصب أيا كان مصدره ، وأن الدول الأعضاء مستظل حرة فى أعمالها وتصرفاتها . وهذا كله صحيح ، ولكن تبقى النواحي السيكلولوجية إذ لها اعتبارها بالنسبة إلى مثل شعب لبنان .

مصير جامعة الدول العربية :

وناحية أخرى تستأهل البحث والتفكير ، ونقصد بذلك مركز جامعة الدول العربية ، إننا نسمع حديثا يجرى باهكان فتح بابها لانضمام دول أخرى فى إقليم الشرق الأوسط مثل تركيا وإيران أو باكستان ، ولكن عملا من هذا القليل يتعارض مع روحها وميثاقها ، وليس فى هذا الميثاق نص يحيز مثل هذا الانضمام كما هو الحال مثلا بالنسبة إلى المادة العاشرة من معاهدة شمال الأطلنطى التى تقول إنه « يجوز للأطراف متى اتفقوا بالاجماع ، أن يدعوا أية دولة أوروبية - تكون فى مركز يجعلها تساعد على تعزيز مبادئ هذه المعاهدة والمحافظة على السلم فى إقليم شمال الأطلنطى - للاشتراك فى هذه المعاهدة » وقد يقول البعض كذلك إنه بالرغم من قيام ، منظمة شمال الأطلنطى فهناك

تنظيمات ذات طابع محلي أو اقليمي ، مثل معاهدة بروكسل المعقودة في ١٧ مارس سنة ١٩٤٨ بين بلجيكا وفرنسا والسكسمبورج والاراضى الواطئة والمملكة المتحدة وهى معاهدة التعاون الاقتصادى والإجتماعى والثقافى ، والدفاع الجماعى عن النفس ، كما أن هناك تعاوناً على أساس الدفاع المتبادل عن النفس بين البلاد الأمريكية وتنظمه معاهدات آخرها معاهدة ريودى چانيرو الموقعة في ٢ سبتمبر سنة ١٩٤٧ (١) . ومن الطبيعى أن تكون لهذه الملاحظات أهميتها . إلا أنه من المحقق أن جامعة الدول العربية ستتضامل أهميتها بصفقتها منظمة إقليمية ، وهو ما نلقاه بالفسبة إلى التكتلات أو التنظيمات المختلفة التى تضم بعضها أو آخر من أعضاء حلف شمال الأطلسى .

صعوبة السياسة الجبابة :

ونحن نقدر الأمل الذى يختلج فى نفوس الداعين إلى التكتل الاسلامى لىكون وسيلة لحفظ التوازن الدولى ، والمحافظة على السلام والأمن فى العالم ، ورعاية المصالح الحقيقية للشعوب الاسلامية . ولكننا فى الوقت نفسه ، نساءل عما إذا كان مثل هذا التنظيم ينطوى على

(١) لم تشترك فى التوقيع دول أكوادور (أمريكا الجنوبية) ونيكاراجوا (أمريكا الوسطى) وكندا (أمريكا الشمالية) ويرجع موقف الأخيرة إلى أنها أعتبرت عضويتها فى « مجموعة الأمم » البريطانية وهيئة الأمم « قد حققت حاجتها ومطالبها الدفاعية فضلاً من أطمئنانها بسبب هيئة الدفاع المشترك الدائمة .. التى تضمها مع الولايات المتحدة .

الامكانيات الكافية لتحقيق هذه الغايات ، ونقصد بالامكانيات
الأوضاع الدولية والاقتصادية والحرية في مختلف البلاد الاسلامية .
وهل تستطيع هذه البلدان مثلاً ، أن تسير على سياسة دولية حيادية
أو ذات كيان ذاتي مستقل ، إذا كان هذا الأمر متفقاً مع أو منبثقاً
من مصالح أهلها ؟ لقد تناولنا بالتحليل الموجز الوضع السياسي في
الأسرة الدولية بالنسبة إلى هذه البلدان ومنه نعرف أنها تنقسم إلى
مجموعات ثلاث . -

١ - مستعمرات ومحميات خاضعة للسيطرة البريطانية أو الفرنسية .
٢ - دول اعترفت لها بالاستقلال والسيادة ولكن تقيم في
أراضيها قوات بريطانية ، كما أنها مقيدة بمقتضى المعاهدات ألا تسير
على سياسة خارجية تتعارض وهذه المعاهدات أو تسبب الضرر
للأهداف البريطانية في المجال الدولي .

٣ - وبلاد مثل الباكستان واندونيسيا مرتبطة بدول أوروبية .
فهذه البلدان ، أو أغليبتها الساحقة ، بحكم تكوينها ومعاهداتها ،
مرتبطة بإحدى السكتلتين الدوليتين مما يجعل اتخاذ سياسة خارجية
مستقلة بالمعنى الصحيح أمراً غير ميسور ، وإذن لا يستطيع التكتل
الاسلامى أن يكون أداة توازن صحيح .

ولكن هناك أمراً آخر أعظم أهمية وخطورة . لنفرض أن
السكتلة المقترحة قد تكونت فعلاً ، وأن أعضاءها قرروا ، لتنسيق

سياستهم، عقد معاهدة للدفاع المشترك على غرار ما فعلت دول الجامعة العربية ، فمن أين مصدر الطاقة العسكرية وهى على هذا الضعف من الناحية الصناعية . أنها فى مثل هذه الحالة مضطرة إلى الاتجاه صوب الدول الصناعية الكبرى سواء أ كانت تنتمى إلى الكتلة الغربية أم كانت من أعضاء الكتلة السوفيتية ، ولا مرأ ان كلا من الطرفين سيستخدم ميزته للحصول على مغايم سياسية ، فلا يقدم السلاح والعتاد المطلوبين إلا إذا تقاضى الثمن وهو السير فى فلكه فى خضم السياسة الدولية . ولسنا نذهب بعيداً فى الافتراض والأمثلة الحية قائمة أمام انظارنا ، فقد سبق لمصر أن اتفقت على شراء مقادير من السلاح من بريطانيا ولم تحصل عليها تماماً بالرغم من استعدادها لدفع الثمن . ومن قبل ذلك ، خلال الحرب ، العربية — الاسرائيلية ، لم يستطع العرب الحصول على السلاح اللازم ، بينما تيسر ذلك فى حالة اسرائيل . وهنا نفترض وقوع نزاع بين الكتلة الاسلامية واسرائيل ، فهل تقدم الدول الكبرى السلاح إلى الطرف الأول — كى يتمكن من سحق الدولة الاسرائيلية ؟

وفى حالة نزاع بين بلد اسلامى ودولة غربية كبرى : هل يستطيع أعضاء الكتلة الاسلامية الباقون ، بوضعهم الراهن ، أن يقفوا إلى جانبه موقفاً موحداً . والتاريخ القريب ينطوى على الاجابة اللازمة . فالدول الأعضاء فى الجامعة العربية لم تعلن صراحة وعلانية

رفضها لمشروع الدقاع عن الشرق الاوسط تأييداً لمصر ، ولم يعترف بعضها بلقب « ملك مصر والسودان » بعد ، وخلال الحرب الفلسطينية لم تحاول دول الجامعة ان تتحمل اعباء متكافئة مع حماسها ومواردها وتعهداتها ، وحينما بدأت اللجنة السياسية ، خلال دور الانعقاد السادس للجمعية العامة التابعة لهيئة الأمم ، مناقشة مسألة انضمام ليبيا إلى المنظمة العالمية تقدمت مصر بمشروع قرار بشأن جلاء القوات والقواعد الأجنبية عن ذلك القطر العربي قبل أن يقوم بعقد معاهدات دولية ، فلم يفز الاقتراح بالأغلبية ، ولكن الأهم من هذا أن - الدول العربية لم تؤيد مصر تأييداً تاماً وشاملاً في موقفها هذا ، مع أن قراراً من هذا القبيل يخدم القضايا القومية لهذه الدول جميعاً ، أو على الأقل تلك التي ما زال استقلالها وسيادتها مقيدين .

حقيقة التنظيم المقترح :

نصل الآن إلى سؤال ينبغي ان يستأثر بالجانب الأوفر من اهتمامنا . فلماذا نشطت الدعوة إلى التكتل الاسلامي ، واتخذت طابعاً رسمياً وشبه رسمياً ، وزادت الاتصالات بشأنها ، وفي هذه الآونة بالذات أي في الفترة التي أعقبت الإلغاء المصري لمعاهدة ١٩٣٦ ورفض مقترحات الدول الأربع ، في اكتوبر من سنة ١٩٥١ ؟

وقبل ان نجيب عن السؤال او نحاول ذلك . نضع الحقائق والبيانات التالية امام الأنظار : —

١ — كان من المقرر ان تجتمع اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية ، بمدينة القاهرة لتقرر خطة موحدة تايدا لمصر في الإلغاء والرفض ، وإذا بالاجتماع يؤجل ويتحول إلى باريس ، بحجة اقتراب موعد بدء الدور السادس للجمعية العامة التابعة لهيئة الأمم وتوالت الاجتماعات بين الوفود العربية بالعاصمة الفرنسية ، ولكنها لم تسفر عن بلاغ او بيان شامل يوضح ماتم الاتفاق عليه ، ويضع حدا للتسكهنات الكثيرة التي تناثرت .

٢ — وردت الأنباء عن وساطة باكستانية تهدف إلى التوفيق بين مطالب مصر والسودان القومية وبين اعتبارات الدفاع عن الشرق الأوسط .

٣ — تحدثت الصحف عن مقترحات لدولة نوري السعيد باشا ، رئيس الوزراء العراقي ذاتها وعلى ضوء مبدأ الوساطة الباكستانية ، ونشرت صورة لتلك المقترحات .

٤ — حضر السيد ظفر الله خان وزير خارجية الباكستان إلى القاهرة وأدلى بالتصريحات التي اوردناها ، وتحدث بصراحة عن الوحدة الاسلامية والأهداف والخطوات اللازمة للتحقيق ، وذلك بعد ان استطلع وجهات النظر في عواصم دول اسلامية ثلاث أخرى .

٥ — جاء معالي فاضل الجمالي ، الوزير العراقي ، إلى مصر قبيل موعد الاجتماع العادي لمجلس جامعة الدول العربية ، وترامت الأنباء عن مقترحات تهدف إلى توسيع نطاق جامعة الدول العربية او معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي بين اعضائها (١) بقصد ضم دول اسلامية اخرى مجاورة .

٦ — بدأ اجتماع المؤتمر الاسلامي في مدينة كراتشي عاصمة الباكستان وبالرغم من كونه هيئة غير رسمية فان اهدافه من حيث تأليف اتحاد من الدول الاسلامية واضحة (٢) .

٧ — كان الجميع يعلقون اهتماما كبيرا على دور الانعقاد العادي لمجلس جامعة الدول العربية ، نظراً لكثرته وضخامة المشكلات مثل قضايا مصر وتونس ومراكش ، وشكلت حكومة مصر وفداً قويا على رأسه رئيس مجلس الوزراء ، فإذا بالاجتماع يصبح صورياً فيقف عند جلسة الافتتاح ، وقيل ان الدورة تعد قائمة للنظر في اى مشكلة تجدد ، كأنما لا توجد فعلاً مشكلات تتطلب الدراسة واتخاذ سياسة موحدة ازائها .

(١) راجع نصوص الوثيقتين في كتابنا (مجموعة الوثائق السياسية) الجزء الأول .
المركز الدولي لمصر والسودان وقناة السويس) ، ص ١٩٥ - ٢٠٧ .
(٢) راجع ص ٢٥ - ٢٦ من هذا البحث .

٨ — أعلن وزير خارجية الباكستان في البرلمان أن حكومات اسلامية سبعة قد قبلت الدعوة للاشتراك في المؤتمر الذي اقترحه باكستان (١)، لاقامة نظام لتبادل العلاقات بين الدول الاسلامية ، وهذا يتفق مع ما أدلى به في مؤتمره الصحفي بالقاهرة بشأن نظام استثماري للنظر في المسائل التي تهم البلاد الاسلامية جميعاً .

فما معنى هذا كله ، وما الهدف الحقيقي الكامن وبخاصة في الآونة الحالية بالذات ؟

في عام ١٩٥١ صدر كتاب بالانجليزية بعنوان « منابع القوة ، Wells of Power » لمؤلف اسمه أولاف كارو Olaf Caroe ، عالج فيه موضوع الثروة البترولية في منطقة الخليج الفارسي ، وهي الثروة التي تسيطر عليها دول الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وهولنده ، ثم أوضح أن حماية هذه المنابع يتصل بأمن هذه الدول . ولما كانت الحماية المطلوبة يجب أن تشمل المصافي المتناثرة في منطقة الخليج وعلى ساحل البحر المتوسط الشرقي ، وكذلك أنابيب البترول الخارجة من كركوك بالعراق ومن أبيق بالمملكة العربية السعودية ، إلى الساحل ذاته ، فإن هذه الاعتبارات كلها تقتضى إقامة نظام دفاعي شامل تحت اشراف الدول الأربع أو على اتصال وثيق بها ، ويضم البلاد العربية وإيران ويجب أن تندرج في سلسلته باكستان كذلك .

ولما عقدت معاهدة شمال الأطلنطي (١٩٤٩) أخذ الحديث يتردد عن اكمله بإنشاء نظام مماثل لحوض البحر المتوسط ، كما جرى بحث الكتاب والساسة حول إقامة تنظيم دفاعي لإقليم الشرق الأوسط بمعناه السيامي الواسع ، وفي الوقت نفسه وافقت دول حلف الأطلنطي مجتمعة ، على انضمام اليونان وتركيا .

ولما قامت مصر في أعقاب الحرب العالمية الثانية تطالب بالجللاء عن أراضيها تحدث الساسة الانجليز عن ضرورة سد الفراغ ، وأصروا على مبدأ الدفاع المشترك كما تدل على ذلك نصوص مشروع « اتفاق صدقي — بيثن » ، في حالة مصر ومعاهدة « برتسموث » بالنسبة إلى العراق . ولما أقدمت مصر على إلغاء المعاهدة سارعت الدول الأربع (بريطانيا والولايات المتحدة وفرنسا وتركيا) إلى تقديم مقترحات إلى مصر بشأن إنشاء « قيادة متحالفة للدفاع عن الشرق الأوسط » وأرفقتها بمذكرة تفسيرية إلى الدول العربية الأخرى وإسرائيل (١) . غير أن الفكرة لم تخرج إلى حيز التنفيذ بسبب رفض مصر وموقف البلاد العربية الأخرى ، فكان ذلك صدمة للدول صاحبات الشأن .

وحدثت الوساطات من جانب الباكستان والمملكة العربية السعودية والعراق ، وكلها تهدف إلى مخرج فيه إجابة لمطالب مصر

(١) راجع كتابنا « مشروعات الدفاع عن الشرق الأوسط » وفيه نص المقترحات والمذكرة .

القومية ، مع مراعاة الاعتبارات الدفاعية العامة ولكنها لم تصل إلى نتيجة . وهنا حضر السيد ظفر الله خان وأخذ يتحدث في مؤتمره الصحفي عن الوحدة الإسلامية وأهدافها والخطوات العملية لتنفيذها ، وعن ضرورة وضع نظام استشاري يمثل البلاد الإسلامية . وسرعان ما انتقل فجأة إلى ناحية لها دلالتها وبخاصة بالنسبة إلى الملبسات والظروف القائمة ، فقال : إن مشروع الدفاع عن الشرق الأوسط لا يمكن أن يكون كاملاً إلا إذا انضمت البلاد الواقعة شرق المنطقة ، بحيث تدخل في نطاقه باكستان وأفغانستان وإيران وتركيا والدول العربية ، ولا بد من تسوية الخلاف بين العرب وإسرائيل قبل تنظيم الدفاع عن الشرق الأوسط .

ويلاحظ أنه لم يشر إلى إندونيسيا والبلدان العربية الواقعة في شمال إفريقيا إلى الغرب من وادي النيل ، بالرغم من حديثه عن الوحدة الإسلامية والنظام الاستشاري للبلدان الإسلامية ، وإذن استخلص الكثيرون من المراقبين أن الغرض من الحديث الآن عن الوحدة الإسلامية ، ليس إلا محاولة لإقامة النظام الدفاعي الذي طالب به أودعا إليه أولاف كارو ، والذي تسعى إلى تحقيقه الدول الغربية الأربع .

ولنفرض أن هذا النظام الدفاعي قد تبلور فصار حقيقة مادية قائمة ، فكيف يكون مآله ؟ إن باكستان جزء من مجموعة الأمم البريطانية ، ، والعراق والمملكة الأردنية الهاشمية تربطهما معاهدات بريطانية وفي أراضيها ، بصورة جزئية أو كلية ، قواعد بريطانية ،

وتركيا عضو في حلف الأطلنطي ، ومعاهدة الظهران قائمة بين المملكة
السعودية والولايات المتحدة . والنتيجة التي نستخلصها من هذا كله
أن النظام الدفاعي الذي يمتد من باكستان شرقا إلى ليبيا غربا ، سيكون
تابعاً لمجموعة من دول منها اثنتان وهما بريطانيا وفرنسا تحتلان أو
تستعمران عدداً من البلاد الإسلامية .

من الطاب :

وإذن من ذا الذي يخشى الكسب من وراء كتلة إسلامية على هذا
النحو ؟ الجواب واضح ، إنه بريطانيا أولاً لأنها ستصرف بذلك
العرب عن مشكلاتهم الحقيقية من حيث الرغبة في التخلص من
سيطرتها .

وقد أصبحت القاهرة مركز الحركات والدعوات التحريرية
بالعالم العربي ، وهي حركات تلقى التأييد من جانب مصر ، شعباً
وحكومة ، إلا أنه في حالة قيام كتلة إسلامية من هذا القبيل ينتقل
مركز الثقل إلى كراتشي عاصمة باكستان ، وليس بين هذا البلد
وبريطانيا مشكلة جوهرية تتصل بمطلب قومي للبلاد . والباكستان
لا ريب كاسية ، ذلك أن تسكتل الرأي العام الإسلامي إلى جانبها
يكسبها تأييداً ويدعم مركزها ازام الهند التي يبلغ عدد سكانها حوالى
٣٠٠ مليون نسمة ، والتي تعد ثامن دولة صناعية بالعالم ، والتي تشطر

أراضيها باكستان إلى قسمين أحدهما في الغرب والآخر في الشرق
وبينهما مسافة طولها ألف ميل .

ومن الخاسر:

ومن ذا الذي يصاب بالخسارة في ظل كتلة تقوم على الأوضاع
الراهنة؟ إنها الشعوب الإسلامية التي ستصرف عن مشكلاتها الأساسية
والحيوية إلى الخلافات التي تنشأ حتما بين دول هذه الكتلة كما يدل
على ذلك تاريخ جامعة الدول العربية منذ قيامها . وأكثر من هذا فقد
صار واضحا جليا أن الغاية الحقيقية من وراء كل هذه الجهود السافرة
والمستترة هي إقامة ذلك التنظيم الدفاعي على نطاق أوسع ، وهنا يحدثنا
السيد ظفر الله خان في مؤتمره الصحفي الذي سلفت الإشارة إليه بأنه
« لا بد من تسوية الخلاف بين العرب وإسرائيل قبل تنظيم الدفاع
عن الشرق الأوسط » . وإذن فبالرغم من التوضيحات التي تحملها العرب ،
وبالرغم من الدعايات بشأن موقف بعض الدول العدائي من إسرائيل
فإن كثيرين من السامة يؤمنون في قرارة نفوسهم أن الاعتبارات أو
الضرورات السياسية تحتم تسوية النزاع « العربي — الإسرائيلي »
واعتراف العرب بإسرائيل ، ثم ضم الدولة الأخيرة إلى الحلف
الدفاعي الإسلامي .

وعلاوة على ذلك فإن الهند تمثل اليوم إحدى الدول الكبرى
ولها وزنها في الميدان الدولي ، ويعمل لها الأقوياء حسبا كبيرا ، وهي

قد لعبت دوراً خطيراً وصريحاً ومتزناً في مختلف المشكلات الناشئة بين الحرية والاستعمار. وذكروا لها التاريخ القومي موقفها حين نظمت مؤتمر نيودلهي الذي كان له أثر واضح في نجاح القضية الأندونيسية، وهي التي أعلنت وما زالت تعلن أنها تسير في سياستها الخارجية مسترشدة بأهدافها فلا تميل ذات اليمين أو ذات اليسار إلا بقدر ما يتفق ذلك مع التعاون الدولي ومصالحها الحيوية. وهي التي تأبى أن تنساق وراء أي من الطرفين في أهدافه ومغامراته، كما أنها تقف على رأس السكتلة غير الرسمية لمناهضة الاستعمار، وهي أخيراً - وليس آخراً - التي بالرغم من بقائها في نطاق الكومنولث ابت الاعتراف بعلاقة التاج البريطاني بين أعضاء المجموعة. ومن المرجح أن هذا التكتل الإسلامي سيفقد البلاد العربية عطف الهند التي لا بد وأن تنظر إليه على أنه تأييد لباكستان يمكن استغلاله في الخلافات بين هذين البلدين في شبه القارة. ومصر التي التزمت إزاء هذه الخلافات موقف الحياد الدقيق يعينها من وجهة مصالحها الكبرى - أن تظل دائماً على علاقات طيبة مع الدولة الهندية.

وقد شهدت المدة الأخيرة ما صار يعرف باسم «السكتلة العربية» - الآسيوية، وهذه قد لعبت أدواراً تاريخية لها خطرهما، فقد حاربت أكثر من مرة فض النزاع الناشب في كوريا وبدأ تعاونها في كثير من المسائل خلال دور الانعقاد السادس للجمعية العامة، وأخيراً فاتها أثارت مشكلة تونس ورأت ضرورة عرضها على مجلس الأمن على

أساس أن استمرارها فيه تهديد للسلام والأمن الدولي. وهذه الكتلة ليست ذات صفة رسمية ، وليست تنظيما يقوم على أساس اتفاقات أو معاهدات ، ولكنها لون من ألوان التفاهم المشترك بصدد المسائل الكبرى التي تمس قضايا التحرير ومصالح أعضاء الكتلة والسلام العالمي ، وأنها لتعيد إلى الذاكرة (نظام التفاهم) Concert Sytem (١) الذي عرفه التاريخ في القرن التاسع عشر والذي استطاع أن يكون أداة لها أثرها في المحافظة على السلام ومنع نشوب حرب عامة خلال فترة طويلة . فهذه الكتلة العربية — الآسيوية ، لا تقوم على أساس عنصري أو قومي أو ديني ، ولكنها مهددة بانفراط عقدتها إذا ما تكون اليوم وفي ظل الأوضاع الراهنة ، هذا الاتحاد أو التكتل الاسلامي ، وذلك أن الهند هي أقوى أفراد هذه الكتلة العربية الآسيوية . وما من شك أن الخاسر في هذا كله هو الشعوب الاسلامية ذاتها التي مازالت قضاياها القومية معلقة ومازالت تكافح من أجل حلها .

(١) راجع ما كتبناه عن هذا النظام في كتابنا « الطريق إلى السلام » ص ٦٧ وما بعدها (الفصل السادس) .

(٣)

كلمة حق وتحذير

هذه هي المخاوف التي تساور بعض المراقبين من جراء اشتداد الدعوة إلى قيام نوع من التحالف الاسلامى اليوم . وفى هذا تقول مجلة «المسلمون»، (١) «...» لهذا فقد استرحنا كثيرا حين صرح السيد فاضل الجمالى فى القاهرة بأن قيام اللجنة الاستشارية (٢) بين الحكومات الاسلامية ليس معناها أى تسكتل اسلامى أو جامعة اسلامية ، استرحنا رغم شوقنا الشديد إلى أن نرى المسلمين مجتمعى الشمل ، وسبب هذه الراحة اسفاقنا على فكرة الجامعة الاسلامية كايقهمها الغيورون على دين الله والعارفون بشريعته أن تتأثر بمحاولة قد تبلغ فى الاخلاص المدى ، ولكنها لا تملك من الوسائل ولا من الظروف المحيطة ما يجعل فى قدرتها تحقيق هذا الأمل الجميل . ويتلخص ذلك عندنا فى أمور ثلاثة : —

.... (والثانى) التأثير الأجنبى : — وهو التهمة التى تهم بها أكثر محاولات تجميع شمل المسلمين اليوم وهى تهمة تحيك فى أنفس كثيرين حين يرون أن خطر الشيوعية هو الذى يشغل الكتلة الغربية

(١) مجلة «المسلمون» العدد الخامس ٢ السنة الأولى ص ٢٠٢ .

(٢) التى أشار إليها وزير خارجية الباكستان فى مؤتمره الصحفى بالقاهرة .

كل مشغلة . وحين يقال إن هذه السكتلة تريد استغلال الاسلام ...
ومعنى ذلك أنها حركة لحسابها لا لحساب الاسلام والمسلمين . هؤلاء
قد لا ينكرون وجوب الاستفادة من ظروف العالم السياسية ، ولكنهم
يترددون كثيرا في الاطمئنان إلى أن واقع الدول المختلفة السياسى
يمكن أن تتحقق معه هذه الاستفادة (١) .

الشرط الجوهرى :

إن الكثيرين ممن يعارضون الآن في قيام هذه السكتلة الاسلامية ،
لا يفعلون ذلك عن معارضة لفكرة أو مبدأ ، ولكنهم يريدونها
وليده الظروف المناسبة ، التى تجعل منها قوة لها وزنها وأداة للصالح
العام . إن جامعة الدول العربية تمثل فكرة نبيلة ولكنها ولدت سابقة
لأوانها ، لأن الأصل فيها أن تكون رابطة بين دول حرة ومستقلة .
إن النقائص التى ترد إلى الجامعة العربية ليست هى السبب فيها ، ولكنها
انعكاس للعيوب الكامنة فى الدول الأعضاء .

(١) لهذا النص دلالاته الواضحة ، فربما تحرير هذه الحجة الأستاذ سعيد رمضان
من المؤمنين فعلا بفكرة الجامعة الاسلامية . ولكنه يريد بها فكرة خالصة لصالح
الشعوب الاسلامية ، ولهذا أخذت تساوره المخاوف من الاتصالات الأخيرة خشية أن
تنحرف بالفكرة إلى غير وجهتها السليمة ، وهو إذن يتفق مع رأينا أو خوفنا من
أن تكون الجهود المبذولة محاولة لاستغلال فكرة أو عاطفة لتنفيذ مآرب تتعارض فى
الآجل الطويل مع الجوهر الاصلى .

وينطبق هذا الأمر على الكتلة الإسلامية المقترحة فإنها تصبح
عنصر ضعف إذا تكونت من أمم متأخرة وغير مستقلة جميعا ، وفي
هذا يقول المغفور له لياقت على خان ، وكثيرا ما أكد القائد الأعظم
في خطبه أن على المسلمين بعد تحقيق حرياتهم في مختلف الدول الإسلامية
أن يوحّدوا صفوفهم ، ، وإذن فالشرط الأول أن تتحرر البلاد
الإسلامية تماما ، فإذا ما بلغت هذه الغاية صار توحيدها أو تعاونها
بعبارة أصح ، أمراً مجدياً وعملياً .

يا قوم انى لكم نذير

وبعد ، فهل نحن نعارض فكرة التنظيم الاسلامى المشترك ؟
الجواب بالنفي على وجه التحديد ، لأن هذا مظهر للتعاون بين
الشعوب ، الذى هو دعامة يقوم عليها صرح الاستقرار والأمن
والسلام فى العالم ، ولسكنا نرى أن أى تنظيم مشترك ، يوثق الصلات
بين أطرافه وأعضائه ، ينبغى أن يستمد كيانه من الظروف الصالحة ،
وأن يهدف أولا وقبل كل شئ إلى خيرهم ورفاهيتهم .

إننا نؤيد ، بل ندعو إلى التعاون السليم بين مختلف البلاد
الاسلامية ، كوسيلة للنهوض بأحوالها الاقتصادية والاجتماعية ،
وكأداة لتحريرها مما تتعرض له من ألوان الضغط أو السيطرة من
الدول العظمى ذات الأطماع . فلتتعاون الأحزاب والجماعات
السياسية القومية فى مختلف هذه البلدان لىكى تخلق رأيا عاما سليما ،
ولتعقد هذه الهيئات المؤتمرات من أجل هذه الغاية بشرط أن تحددها
تحديدا واضحا وأن تبين أساليب العمل . ولتتفق البلاد الاسلامية
على التبادل التجارى وما إليه لما فيه نفعها . وليتم تبادل أساتذة وطلاب
الجامعات والمعاهد العلمية ، والمؤلفات فى شتى العلوم والفنون .

ولكننا لا نؤمن في ظل الأوضاع الراهنة بتسكتل أو حلف بين دول أو حكومات ما زال أغلبها غير حر تماما في تصرفاته الخارجية ، وغير متحرر تماما من شتى القيود السافرة وغير السافرة على استقلاله وسيادته .

إن دعاة فكرة التسكتل الاسلامي الأولين بكل ما تدل عليه هذه الألفاظ من معان ، أرادوه حقيقة لا وهما ، وجسما حيا لا شعبا أو ظلا ، ولن يكون الجسم سليما إلا إذا خلت الأجزاء المسكونة له من النقائص والعاهات والأمراض . إنهم لم يكونوا أقل فهما للإسلام وتعاليمه ومصالح الشعوب الاسلامية من هذه الأبواق التي تظن ذلك الفهم وقفا عليها واحتكارا لها .

لقد دعوا إلى فكرة وأشاروا إلى مقومات ابرازها الأصلية ولم تدفعهم أية عاطفة إلى الانسياق وراء أوهام ، وبما كان ليخطر ببالهم — وهم أنصار التحرر — أن يعملوا من أجل تنظيم سيكون أداة تهزم الغرض الأصلي منه .

إن الأخوة بين البلاد الاسلامية هدف محمود ، ولكن الصورة التي يراد بها اليوم أن تتحقق كفيلة أن تنحرف بها عن مجراها الطبيعي الحق . إنها غاية طيبة ، ولكن أكبر الخوف أن يتمكن الذين يكمنون وراء هذه الصورة من أن يخذعوا المخلصين والبسطاء باستغلال

حماسهم وعواطفهم لادراك مآرب أبعد ما تكون عن خدمة الشعوب الإسلامية ، إن لم تكن أدنى إلى التعارض مع مصالحها .

إن هذا الحلف أو النظام الاستشارى الواسع الاختصاص والذي يتستر تحت غطاء فكرة الجامعة الإسلامية أو التكتل الإسلامى ، إنما هو كلمة حق يراد بها باطل إن هدفنا أن نحذر الشعوب الإسلامية من الوقوع فى شرك تنصبها لها أيدي خفية ، مستغلة إخلاص البعض وحماس فريق آخر وجهل جماعة ثالثة .

« يا قوم إنى لكم نذير مبين » ، ولقد بلغت فاللهم أشهد ، وستكشف الأيام القادمة أينما أهدى سبيلا وأكثر فهما وإدراكا . إن لم تتحرك العناصر الرشيدة لإزاحة الستار عن الدسائس وتنوير الأذهان ، وإن عدا لناظره قريب .

أيها المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها ، احذروا البعض من الساسة والقادة وقد يكونون مخدوعين ، من أن يستغلوا حرصكم على التعاون أو التكتل أو الاتحاد الإسلامى ، فاذا بكم بين عشية وضحاها أمام « حلف دفاعى للشرق الأوسط » ، يمتد من باكستان شرقا إلى ليبيا وما وراءها غربا وهو ما أقننا عليه أكثر من دليل نضعه تحت الأنظار ونقدمه إلى العقول التى تفكر .

إن العاقل من اتعظ بغيره . . . لقد هلل الجميع حين قامت جامعة الدول العربية ، ووقفت قسلة تبنى الشك فى امكانيات هذه المنظمة

لأنها لم تستكمل عناصر القوة الحقيقية ، إذ تكونت من أعضاء لم يحققوا حرياتهم كاملة ، ودارت السنوات وعلت كلبة المتشككين وثبت صدق ظنهم وبعد نظرهم ... فهل يراد أن تتكرر التجربة ؟ .
فلنؤمن جميعا بأن الكتلة الإسلامية ضرورة ، ولكن علينا ،
أولا وقبل كل شيء أن نتدبر قول المغفور له السيد محمد علي جنة ،
الباعث الأكبر لدولة باكستان ومن أشد أنصار الوحدة قوة ...
« إن على المسلمين بعد تحقيق حرياتهم في مختلف الدول الإسلامية
أن يوحّدوا صفوفهم ، . ومعنى هذا ، أيها المسلمون :

الحرية أولا

والوحدة ثانيا

وحاشا للزعيم الراحل أن يكون أقل فهما للإسلام ومصالح المسلمين ، من هذه الأبواق . . ، السليمة النية ، إن صح التعبير .
إن قيام الوحدة قبل تحقيق الحرية معناه أن يشد طوق واحد ،
غير إسلامي ، حول رقاب الشعوب الإسلامية .
وإني لأقدم هذا إلى المخلصين الواعين ، أما غيرهم ، فانك إن تهدي
من أحببت ، . . « ولن يسمع الصم النداء » .

المحتويات

صفحة

الإهداء.

٨- ٧

تقديم

(١)

٣٧- ٩

العرض التاريخي

طريقة البحث ٩ - الأديان الكبرى ١١ - عصر الخلافة
الاسلامية ١٣ - الدعوة إلى الجامعة الاسلامية ١٤ - ظهور
الباكستان ٢١ - المؤتمرات الاقتصادية الاسلامية
٢٢ - مؤتمر العالم الاسلامي ٢٥ - تصريحات ظفر الله خان
في القاهرة ٢٨ - دعوة إلى مؤتمر ٣٤ - الدعاية غير
الرسمية ٣٥.

(٢)

٦٢-٣٨

التحليل والتفسير

هل وحدة جغرافية ٣٨ - الاختلافات الجنسية واللغوية
٤٤ - الوضع الدولي ٤٤ - موقف لبنان ٤٨ - مصير
جامعة الدول العربية ٤٩ - صعوبة السياسة الحزبية
٥٠ - حقيقة التنظيم المقترح ٥٣ - من الكاسب ٥٩ - ومن
الخامس ٦٠

(٣)

صفحة

٦٥-٦٣

كلمة من ونخبر

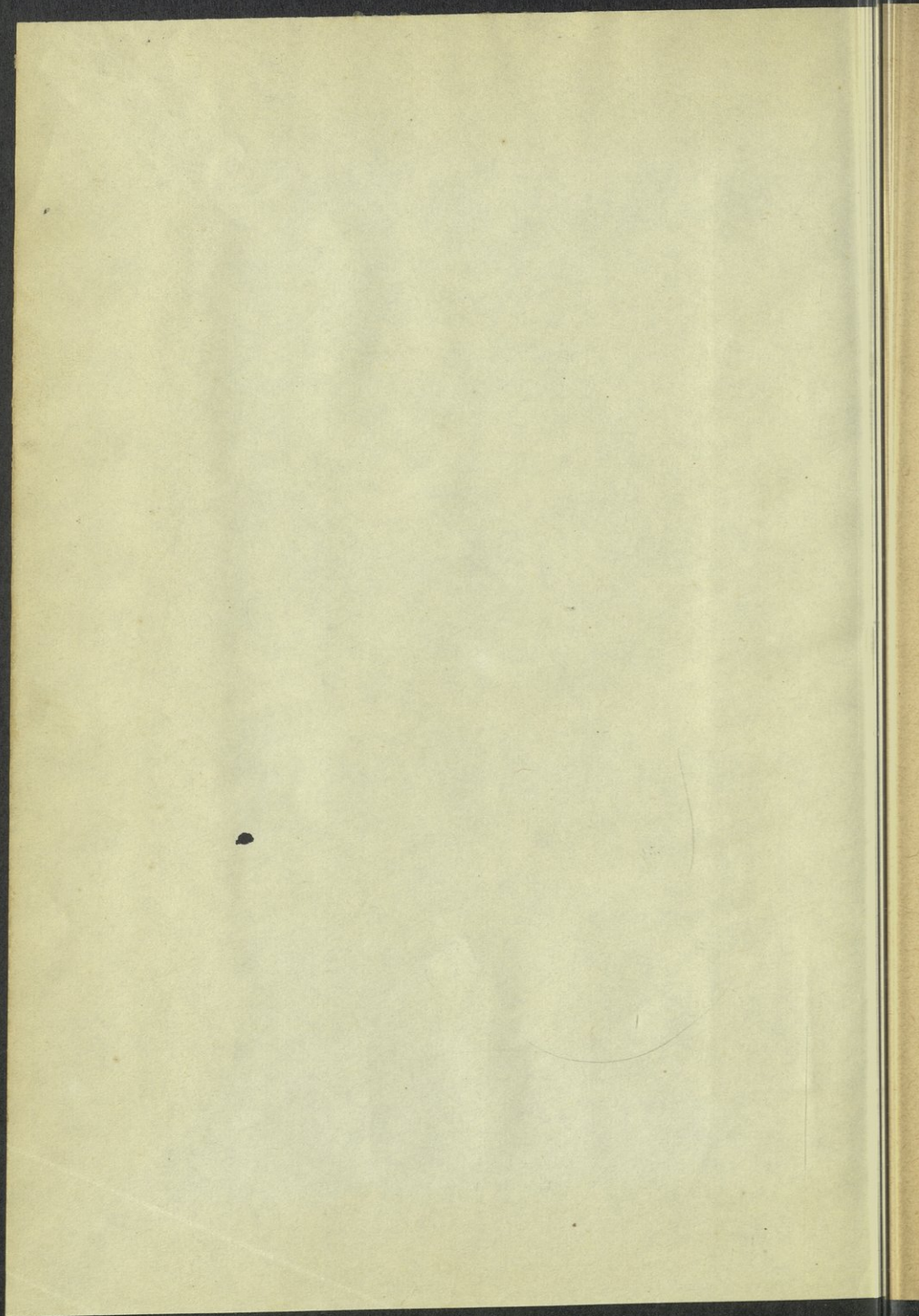
٦٥-٦٣

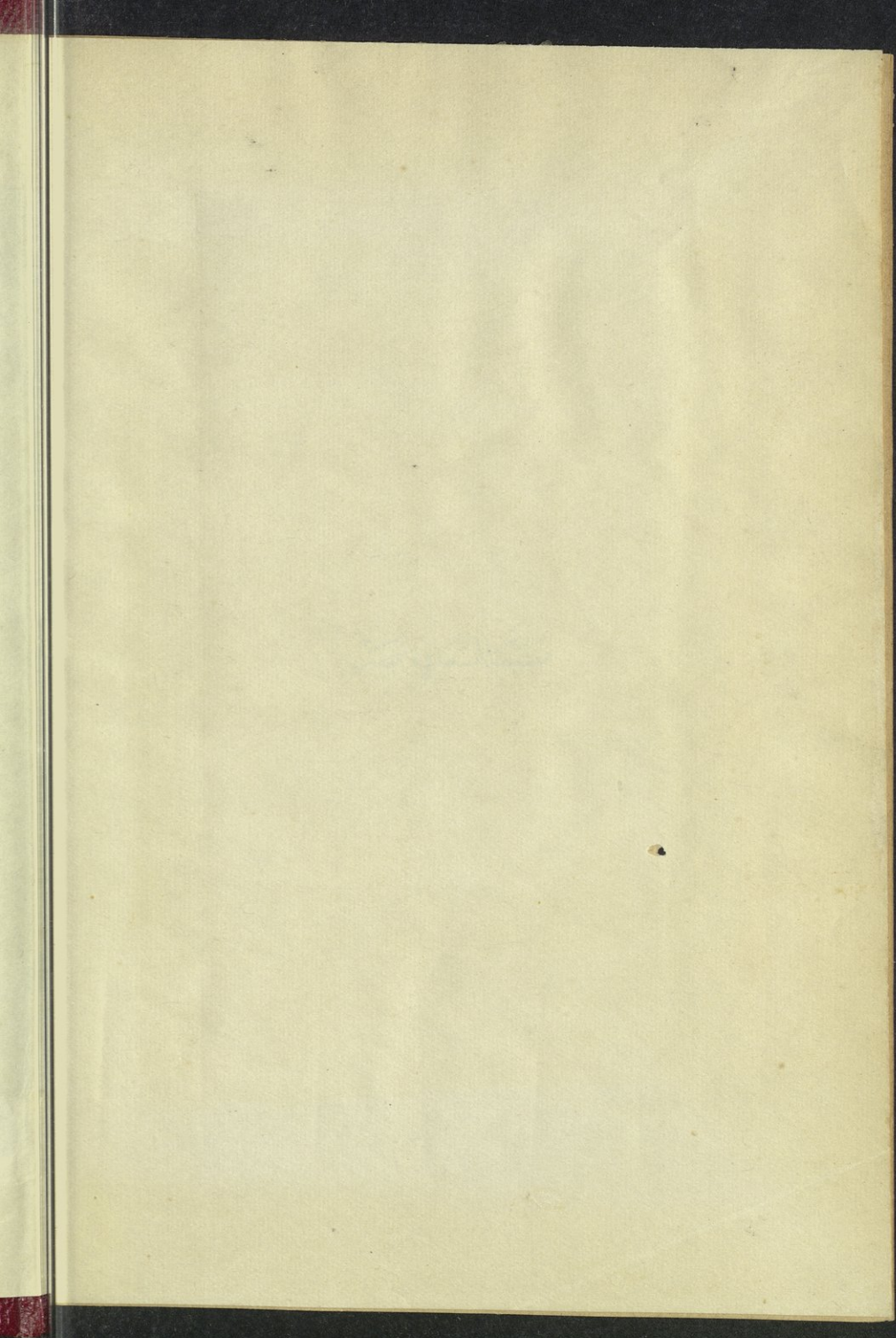
الشرط الجوهري ٦٤

٦٩-٦٦

يا قوم اني لكم نذير

مطبعة السعادة بمصر

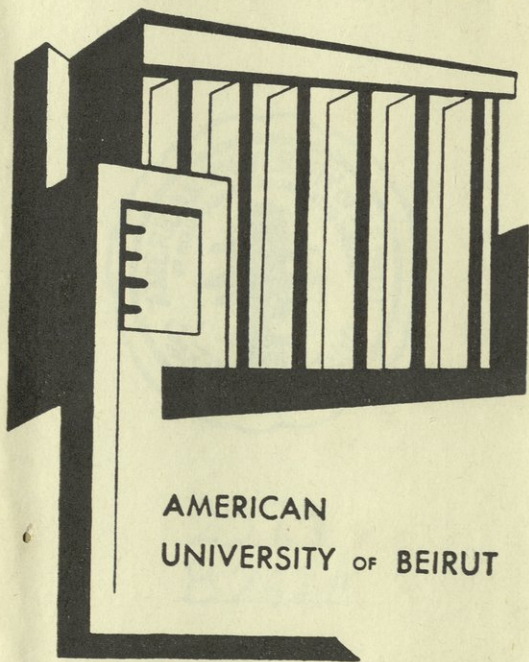




AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



00296924



AMERICAN
UNIVERSITY OF BEIRUT

297.09
B26KA